محسن قنديل

نظرية الحرب في القرآن

وأعدوا لهم ما استطعتم من قو

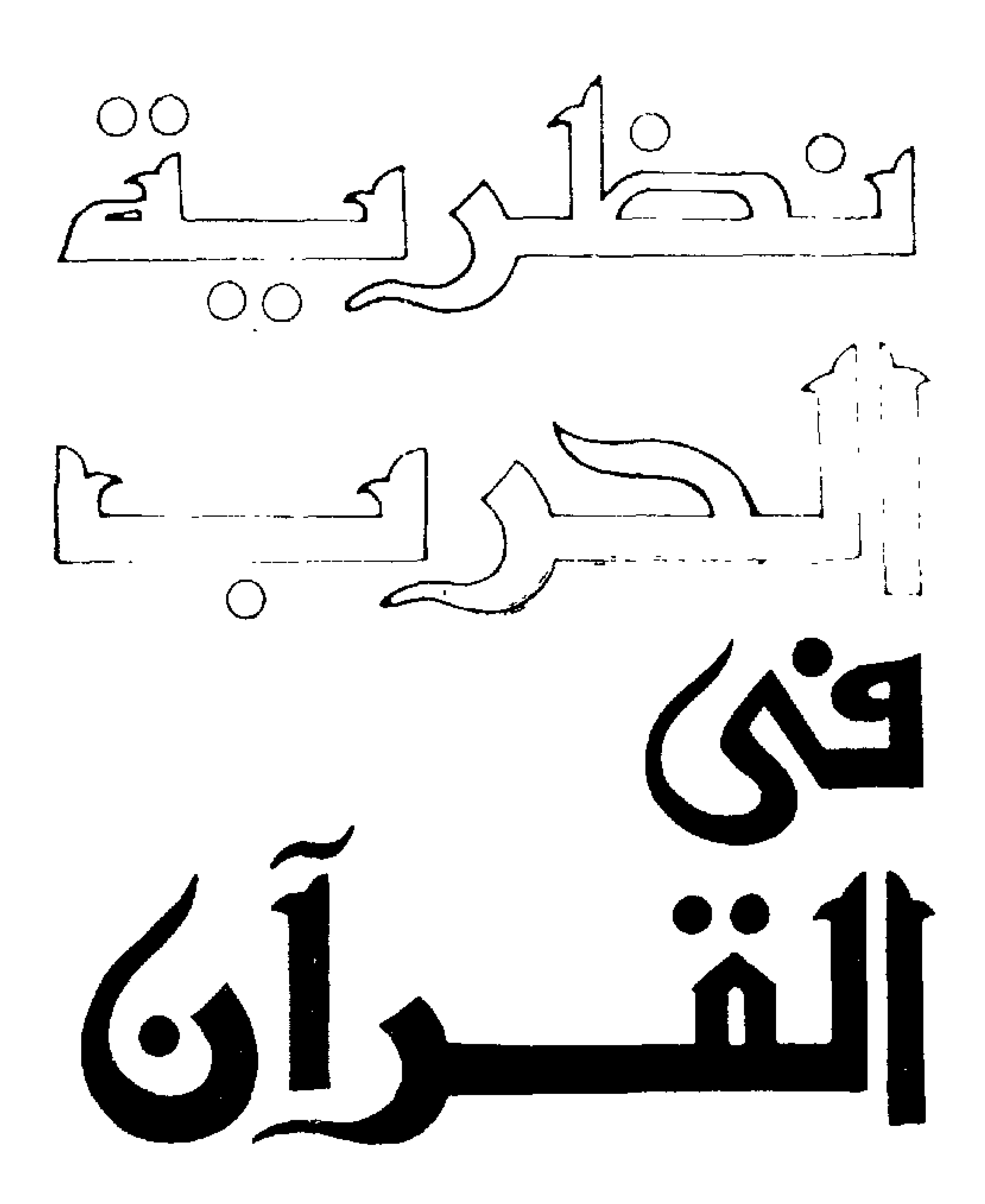
من رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلم

إهـــــــــداء ٢٠٠٦

المرحوم الدكتور/ علي حسين كرار

القاهرة

محســـن قنديـــل



١٤٠١ هـ ٠ ١٩٨١ م ٠

الناشر :
محسن قنديل

الاخراج وتصميم الغلاف
عدلى فهيم

١٤٠١ هـ ــ ١٩٨١ م

« الحرب رحى ثفالها الصبر وقطبها المكر ، ومـدارها الاجتهاد ، وثقافهـا الأناة ، وزمامها الحذر · ولكل شيء من هـذه ثمرة ، فثمرة الصـبر التأييد ، وثمرة المكر الظفر ، وثمرة الاجتـهاد التوفيق وثمـرة الأناة اليمن ، وثمـرة الحذر السلامة · ولكل مقام مقـال ، ولكل زمان رجال ، والحرب بين الناس سجال ، والرأى فيها أبلغ من القتال · »

نظرية الحرب فى القرآن



مقدمة الطبعة الأولى

القرآن الكريم مصدر هداية ابدية للبشرية ، وكنوزه متاحة لجميع الذين يسعون اليها صادقين ، وكلما أغذ المرء سيره فى تقصى هذه الكنوز ، بدأ كتاب الله يميط له عما فيه ، واستولى ما في هذه الوثيقة من علم ومنطق على عقله ، وما من كشف جديد الا وهو يعزز ايمانه ويضيف الى معارفه جديدا ويوسع آفاقه الروحية ويمنحه النور والهداية .

وفى القرآن الكريم دعوات متكررة الى الانسانية بان تتوسل بالعقل والحكمة فى فهمه وتفسيره ، وهو يدعونا الى استخدام جميع حواسنا استخداما كاملا فى البحث عن المعرفة والحق . وهو يؤكد أهمية قيام المرء بالملاحظة والاستقصاء والبحث . بل أن القرآن الكريم يدعو الانسانية الى دراسته والى مداولة الرأى في قوانينه ومبادئه والى تأمل ما فيه من اشارات الهية وتقصيها والى فهم نظريته وحكمته .

والقرآن الكريم بوصفه دستورا كاملا للحياة ، يسوق لنا فلسفة الحرب ضمن ما يسوقه ، وهى حكمة الهية لا تنفصل عن العقيدة القرآنية الشاملة كما انها نظرية تحكمها وتتحكم فيها كلمة الله من بدئها الى ختامها . وما من فكر عسكرى معروف له خصائص كتلك الخصائص العليا التى تنبعث منها طائفة كبيرة أخرى من الصفات الطيبة . فالنظرية تامة وكاملة وشاملة ومتوازنة .

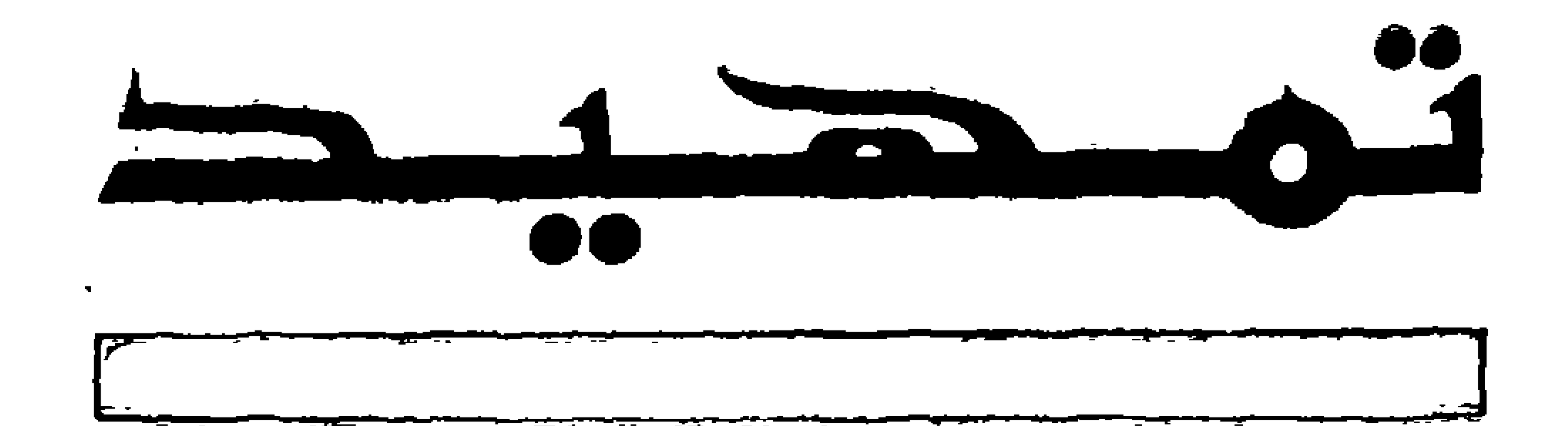
وفى الوسع دراسة التفكير العسكرى فى القرآن فى جوانب واتجاهات شتى ، كما أن له ملابساته التاريخية والسياسية والقانونية والاخلاقية ، والدراسة التى نحن بصددها هى بحث فنى فى موضوعه ، تكمن أهميته فى الاتجاه الذى اتخذه ، ومثل هذا البحث ضرورى لاى دراسة تالية للتاريخ العسكرى الاسلامى توضع فى منظورها الصحيح .. كما أن هذا البحث لازم لاماطة اللثام عن أسرار الحرب التى ما فتىء العقل البشرى يجاهد

من قرون في سبيل كشف معمياتها ، وهو بحث كان لابد من الاضطلاع به للظفر برأى شامل حول نظريات الحرب ومفاهيمها الالهية ، وفوق كل شيء علينا أن نفهم التفكير العسكري في القرآن وان نستوعبه ونطبقه وقت الحاجة ٠

وما هذا الكتاب الا محاولة متواضعة لتقديم موضوعه الى القارىء والبحث في القرآن ليس عمل رجل واحد ، بل هو تبعة جماعية دائمة تقـع على أمة الاسلام بأسرها ٠

الفصل الأول

* قال عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، لعمرو بن معد يكرب : صف لنا الحرب . قال : مرة المذاق اذا كشفت عن ساق ، من صبر فيها عرف ومن نكل عنها تلف .





القرآن الكريم ، بوصفه الوثيقة الالهية الكاملة ، نظرية الحرب علاجا توخى فيه الاحاطة والشمول ، فحدد جميع أحوال استخدام « القوة » فى العلاقات بين الدول ، ووضح هذه الأحوال • والنصوص القرآنية تتناول أسباب الحرب وأهدافها وطبيعتها وخصائصها وحدودها ومداها وأبعادها ووسائل التحكم فيها ، كما أن القرآن الكريم يضع للاستراتيجية نظرية فريدة محددة المعالم ، ويقرر القواعد والمبادىء الخاصة بشن الحرب •

والفلسفة القرآنية للحرب هى فلسفة عميقة فى سموها وفعلها ؛ وهى تنشىء توازنا كاملا بين الحرب والسياسة . وتتغلغل الى الاعماق فتنتظم جميع الاعتبارات الخاصة بشن الحرب والتخطيط لها وادارتها والتحكم فيها • وتدور هذه الفلسفة فى نطاق ضوابط الهية محددة تحديدا كاملا تضمن عدم السماح للحرب بأن تتجاوز نطاقها وغرضها ، وبأنها لا تكون كذلك دون الحد المقرر لها • وقوانينها ومبادئها تتميز بأنها عالمية من حيث طبيعتها ؛ باقية من حيث مغزاها • وعلى خلاف الفلسفات التى هى من وضع البشر ؛ فان هذه القوانين لا كانت بنت ظروف معينة ؛ ولا هى مفصلة عليها تفصيلا •

والقرآن الكريم لا يفسر الحرب من زاوية المصالح القومية الضيقة ، بل يومىء الى تحقيق السلام والعدل الشاملين ؛ ويضع منهجية ثابتة الدعائم لبلوغ هذه الغاية . وهى منهجية تتيح لخصومها حدا أقصى من أسباب التعاون فى سبيل البحث المشترك عن نظام عادل مسالم •

على أن هذه الفلسفة الحية الديناميكية قد افتقرت الى بحث موضوعى هادف

يضطلع به على تفاوت ، كل من ناقديها ومؤيديها • أما ناقدوها . فقد أساءوا تفسيرها باعتبار أنها شكل أو ضرب من ضروب المغامرة والروح التوسعية والتعصب • وأما مؤيدوها . فقد أفرطوا فى التركيز على جوانبها الميتافيزيقية والخارقة . ولم يبذلوا الا أقل الجهد فى الاشارة الى ماتنطوى عليه من اتجاه علمى منطقى هائل . ومع انقضاء الوقت ، حال موقف عدم المبالاة فى الدراسة والبحث — سواء أكان هذا الموقف متعمدا أم من قبيل السهو — دون رؤيتنا للفكر القرآنى العسكرى فى ضوئه ومنظوره الصحيحين . اذ أدى ذلك الى جعل الفكر الاسلامى العسكرى قليل الشأن أو منعدم الأثر بين النظريات والفلسفات العسكرية اليوم•

والعقل العسكرى الحديث ، اذ يبحث عن حلول لما يكتنف الحروب الحاضرة من تعقيدات ، لا يجد الا أقل القليل مما يغريه بدراسة فلسفة عمرها نحو ألف وأربعمائة عام . والهوة الكامنة بين مشكلات الحروب الحاضرة والفكر العسكرى القرآنى تبدو للعقل الباحث وكأنها فى ضخامتها وسعتها تشبه الهوة الماثلة بين الرمح والقنبلة الذرية • وكان من نتيجة هذا أن ظلت الانسانية بعامة والجماعة الاسلامية بخاصة محرومة من نعم وبركات لا حدود لها تنطوى عليها هذه الحكمة الالهية السامية •

فهناك اذن حاجة ماسة الى بحث متكامل الجوانب حول هذا الموضوع ، رغبة فى الاهتداء الى حلول لمشكلات الحرب الحاضرة والمستقبلة • وهو ما يمثل تحديا ضخما ، لكنه لا يستعصى على الحل ، كما يدعو الى احياء خصائص الروح القرآنية للبحث والاستقصاء • واهتداء بهذه الروح السامية ، استطاع أسلافنا فيما مضى أن يسهموا فى عدد كبير من فروع العلم والفن • اما طلب العلم العسكرى الحديث الذى يتجمل بالأمانة والصدق ، فان فلسفة الحرب فى القرآن تفتح أمامه مجالا للبحث لا يقل غنى وفائدة عن غيره من مجالات البحث ، وهذه فى الواقع حاجة ملحة فى وقتنا الحاضر ، تتناول ، فيما تتناوله من خصائص أخرى كثيرة ، رسالة تبعث الأمل والثقة فى نفوس الشعوب المغلوبة على أمرها فى هذا العالم المضطرب •

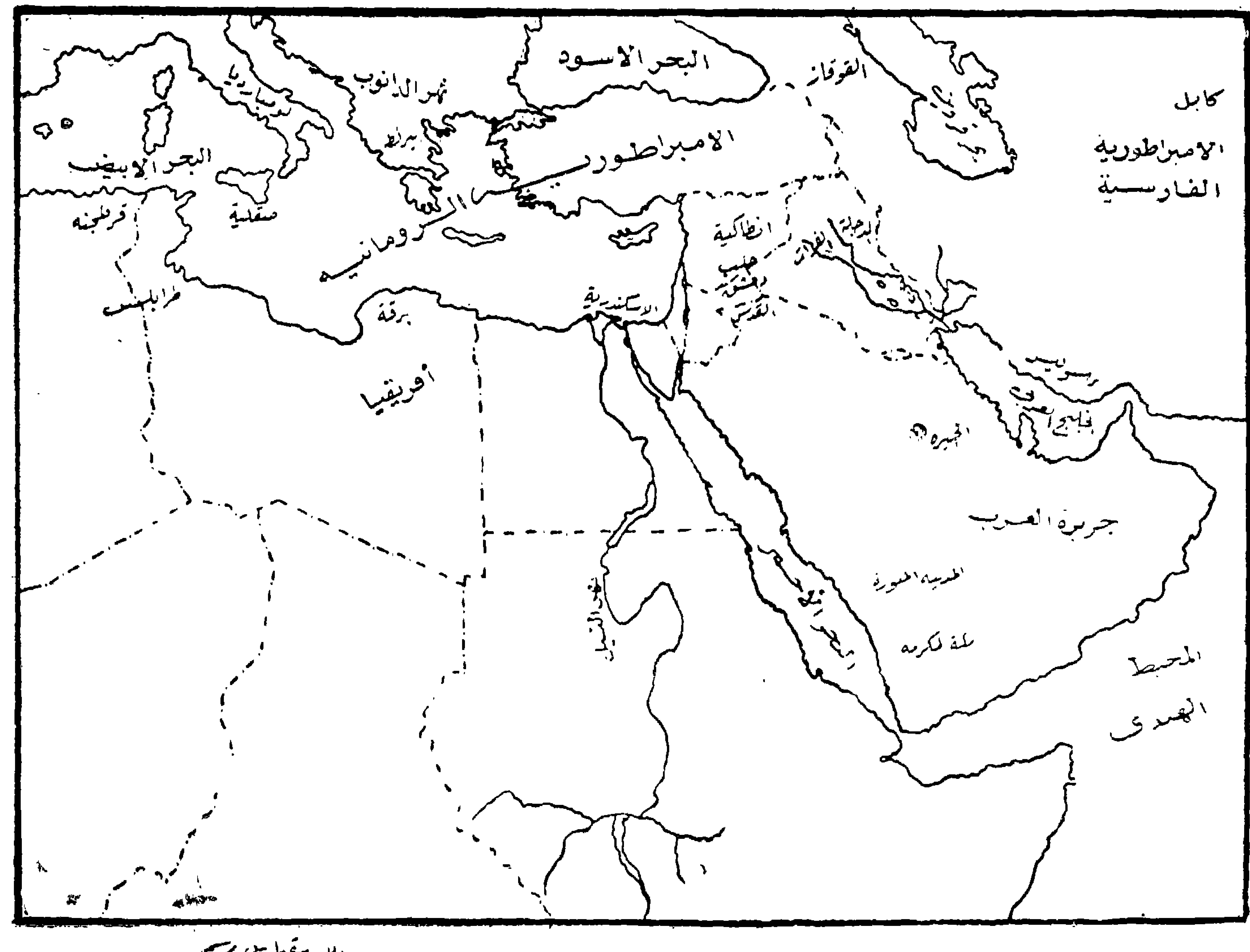
وفلسفة الحرب فى القرآن الكريم هى حكمة الهية من حيث فكرتها ، متطورة

من حيث نموها ، انسانية من حيث تطبيقها • وهي في حدود معاييرها الواضحة تتيح للمرء مجالا كافيا للبحث والتطبيق • وهي بكل ما تتميز به من قيمة وذاتية عرضة أيضا لأن تتأثر بالفلسفات الأخرى الخاصة بالحرب • وفي وسعها أن تستوعب بصفة خاصة شطرا كبيرا من علم العسكرية الحديث في جوانبه العملية دون أن تضحي بشيء من مظاهرها ومبادئها التي تتميز بها • ويتعين علينا لكي نظفر بمزيد من الفهم وبقدر أمثل من النتائج أن نستخدم الى أقصى حد ممكن ما أودعه الله العلي القدير في هذه الفلسفة من مرونة • ولكننا اذ نبذل جهودا وافية لكي نتعلم دروس الحرب من الفلسفات التقليدية ، فان علينا أن نقاوم كل اغراء من شأنه أن يجعلنا نتلمس في كتاب الله انعكاسا لميولنا الذاتية وأهوائنا الخاصة •

ان الفكر العسكري القرآني هو جزء لا يتجزأ من الرسالة القرآنية الكلية ولا ينفصل عنها • وستبقى دراسة هذه الفلسفة ناقصة مفتقرة الى الجزم ما لم نفهم الخصائص الأساسية والجوهرية للقرآن نفسه•ومن الطبيعي أننا لانستطيع أن نفهم « الجزء » دون أن نفهم وندرك « الكل » الذي ينتسب اليه هذا الجزء ويشترك معه في خصائصه • ولئن أقدمنا على هذا ، انه ليس في نيتنا أن نجري تفسيرا مسهبا للقرآن الكريم • وحسبنا أن نذكر أنفسنا ببعض خصائص هذه الوثيقة الالهية المنيرة حتى تجيء الدراسة وقد وضعت في ضوئها ومنظورها الصحيحين •

والقرآن الكريم ، وهو اعلان سماوي تام كامل ، فيه معين لا ينضب من المعرفة والحكمة والعلم والمنطق والنور والهداية للانسانية الى آخر الدهر • وقد نزل القرآن حسبما جاء فينصه **«تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين»** (سورة النحل الآية ٨٩) • ثم أن القرآن الكريم وهو مصدر دائم وبلا نهاية للوحي النقي الصادق ، قد أقر الناس جميعا بأنه بريء من أي نوع من أنواع التشويه والتعديل والاضافة والحذف ، ومنذ ما نزل به الوحي وهو هو ، لم يطرأ عليه أي تغيير لا في أصله ولا في جماله أو بلاغته أو أسلوبه أو نحوه وصرفه أو علمه ومنطقه أو نصه • أما سلامة الكتاب وصحته ، فهما مصونتان ،

جزيرة العرب والامبراطوريتان الفارسية والرومانية : ٦١٦ م



والله تعالى حافظ لهما كما جاء فى الآية « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » (سورة الحجر الآية التاسعة) • وما من وثيقة أخرى تحاكى القرآن الكريم من حيث مادته أو جمله « **وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداء كم من دون الله ان كنتم صادقين** » (سورة البقرة الآية ٢٣) •

على أن الكتاب يسوق تعاليمه الغيبية بالنسبة لثلاث فئات من الناس ويصور كيف تتلقى هذه الفئات رسالة الله • فالله تعالى يقول فى منزل تحكيمه « **ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون• أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون** » (سورة البقرة الآيات ٢ ــ ٥)•

وفى موضع آخر جاء فى القرآن الكريم « **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم** » (سورة المائدة الآيتان ١٥ و ١٦) •

أما الذين يرفضون الايمان . فحكم الله عليهم هو « **ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم** » • (سورة البقرة الآية السابعة) • وفيما يتعلق بالفئة الثالثة من الناس التى تجاهر بالايمان من حيث الظاهر ولكنها تخفى خطط الغدر فى الداخل ، فقد جاء فيها حكم القرآن الكريم على النحو التالى « **أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين** » (سورة البقرة الآية ١٦) •

وقد أوردنا فى بحثنا هذا لمحة عن النبى الكريم ، وهو الرجل الذى أنزلت عليه الهداية الالهية السامية . فتلقاها واستوعبها وطبقها ومارسها وحولها الى دستور أبدى يضىء للناس طريقهم ويرشدهم • وما أكثر المجلدات التى كتبت عن هذا الانسان السامى . وما أكثر ما سيظل يكتب عنه من مجلدات الى آخر الدهر • ورغبة منا فى أن نقيم أثر شخصية الرسول الكريم فى هذا البحث ، نستشهد بقليل مما ورد فى القرآن الكريم عنه • فقد جاء فى الكتاب أن نبى الاسلام عليه الصلاة والسلام أرسل « **شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا**

منيرا » (سورة الاحزاب ، الآيتان ٤٥ و ٤٦) • ويخاطب القرآن الجنس البشرى قائلا : « **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا »** (سورة الأحزاب ، الآية ٢١) • ووجه الى رسول الله ثناء مماثلا فى مواضع شتى من القرآن الكريم • والذى يهمنا فى هذه الدراسة هو كيف طبق النبى الأوامر الالهية الخاصة بالحرب ، باعتبار ان ذلك جزء لا يتجزأ من النظرية القرآنية للحرب • ولكى يتسنى لنا أن نجرى بحثا مفصلا مستوعبا ، يتعين علينا أن نعالج هذا الموضوع علاجا متكاملا متناسقا ، فنورد النص القرآنى عن الحرب ثم نورد تفسيره وتطبيقه على يدى رسول الله فى حربه مع المشركين • ولابد من اظهار هذه « الاسوة الحسنة » وتتبعها حتى نفهم الفلسفة القرآنية للحرب من حيث تخطيطها وادارتها وكذلك السيطرة عليها •

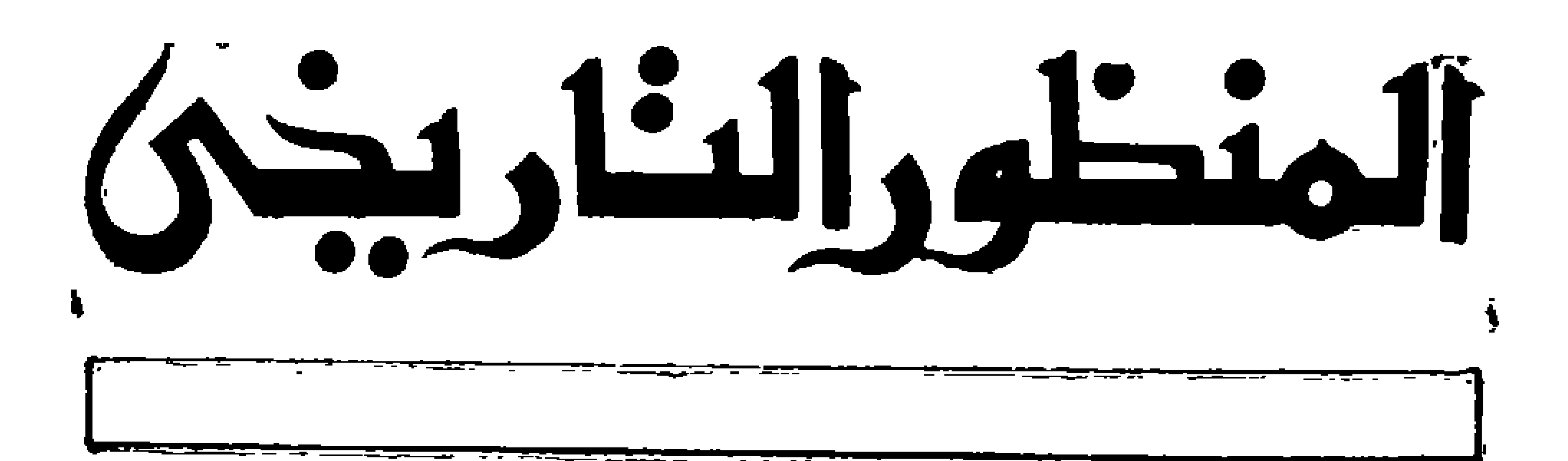
ومما يماثل ذلك من حيث الأهمية بالنسبة لنا أن نعرف التوقيت الذى به نزل الفكر القرآنى العسكرى وأسلوبه وتسلسل هذا النزول • فالمحكمة الالهية الخاصة بالحرب لم تتنزل بعد مجىء الاسلام ، وانما نزلت بعد ذلك باثنى عشر عاما ، بعد نزول نحو ثلثى السور القرآنية • والنظرية الالهية عن الحرب ، على خلاف النظريات والفلسفات الوضعية ، لم تكتب فى وثيقة واحدة متساوقة ، ولا وردت فى حزمة أو جرعة واحدة مركزة ، ولكن واقع الامر أنها نزلت تدريجا وشيئا فشيئا • والأوامر الأولى نزلت قبل بدء القتال الفعلى ، وكانت مختصرة وعامة واقتصرت على الأسباب الرئيسية للحروب ومحورها الرئيسى وهدفها • كما وردت فى هذه الوصايا الضوابط المفروضة على القتال من حيث أسلوبه ومداه وطرقه • واتخذت معظم الأوامر المنزلة شكل شجب الهى للحملات العسكرية السابقة • كما تناولت — الى جانب القضايا المعينة المتعلقة بالحملة العسكرية — فكرة القرآن عن الاستراتيجية ومبادىء ادارة الحرب • كما أوضحت الأوامر السابقة الخاصة بأسباب الحرب وهدفها وطبيعتها وخصائصها وأبعادها وقواعدها الاخلاقية • واذا أضيفت هذه الآيات المنزلة الى الكيفية التى طبقت بها على يدى الرسول الكريم، بدت لنا صورة كاملة شاملة لنظرية الحرب فى القرآن الكريم •



الفصل الثانى

* قال النابغة الذبيانى يصف الحرب :

تبدو كواكبه والشمس طالعة
لا النور نور ولا الاظلام اظلام





فى عام ٦١٠ م حينما بشر نبى الاسلام (سلام الله عليه) برسالته التى زكاها العلى القدير ، كانت الدول الكبرى فى العالم هـى الامبراطورية الرومانية الشرقية ، والامبراطورية الفارسـية ، والصين ، والهند .

وكانت رقعة الامبراطورية الرومانية الشرقية تمتد فى آسـيا الصـغرى والشـام وفينيقية (لبنـان) وفلسـطين ومصر وشـمال افريقية وكريت وقرطجنـة . وكانت الامبـراطورية الفارسـية تسـيطر عـلى منـاطق العراق (ما بين النهرين) وفارس الحديثة وبكتيرية (بلخ) وأجزاء مـن آسية الوسطى تمتد الى تخوم الهند وبلاد التتار . وكان لهاتين الامبراطوريتين تخوم مشتركة ، وان كانت غير مرسومة ، مع جزيرة العرب جنوبا تجتاز بادية الشام والعراق بصفة عامة . ولأن الحدود العادية قلما رسمت بين البيزنطيين والفرس ، فقد مرت هذه الحدود بطول خط ممتد من الطرف الشرقى للبحر الأسود جنوبا الى نهر الفرات عند نقطة شمال شرق بلميرا (تدمر) فشملت القوقاز وأرمينية والفرات الأدنى فى الامبراطورية الفارسية . أما السلطة السياسية فى الصين ، فقد امتدت من الخليج العربى الى المحيط الهادى ، بينما كانت الهند مزدهرة تحت حـكم هارشا فادهاتا .

وقبل قرون من مجىء الاسلام ، كان الفرس والرومان فى حالة حرب فيمـا بينهما . ففى وقت مبكر يرجع الى عام ٤٨٠ قبل الميلاد ، غزا احشويرش[١] اليونان

---

(١) أحشويرش ملك الفرس بين عامى ٤٨٥ و ٤٦٥ قبل الميلاد . عرف بغزواته العسكرية التى وسعت ملكه الى مصر واليونان .

برا وبحرا وتعرض للهزيمة • وبين عامى ٤٧٠ ، ٣٨٧ ق•م• بقيت هناك حالة تترجح بين الحرب والسلم بين العالمين الهلينى (اليونانى) والفارسى • وفى عام ٣٨٧ ق • م • واستنادا الى صلح « انتالاسيداس » (١) أصبحت لبلاد فارس السيادة الفعلية فى اليونان • على أن الاسكندر قام فى عام ٣٣٠ ق•م• فهـــزم بلاد الفرس ونشر النفوذ الهلينى من المحيط الاطلنطى الى آسية الوسطى • ولكن الفرس ثاروا فيما بعد بقيادة « بارثيا » (٢) على الهيلينية وأقامـــوا أسرة السلوقيين الذين استردوا بلاد فارس الاصلية ومدوا نفوذهم الى البحـــر الأسود وبلميرا (تدمر) •

وفى عام ٢٢٥ م أطاح الساسانيون بالسلوقيين ، ولكن حـــدة الحرب بين الامبراطوريتين استمرت ولم تخب • وفى عام ٣٣٠ م • ومع انتقال العاصـــمة الرومانية الى القسطنطينية ؛ اشتدت وطأة الحرب الفارسية الرومانية وأصبحت أكثر تواترا ووقوعا •

وفى منتصف القرن السادس ، عندما حـــكم جستينيان (٣) وأنوشروان (٤) الرومان والفرس على التوالى لمدة ٣٤ سنة كانا فيها متعاصرين : اتخذ الصراع شكلا عنيفا آخر • وفى عام ٥٤٠ م • بادر الفرس بغزو بلاد الشام (ســـورية) واستولوا على انطاكية ولكن القائد الرومانى الـــكفء بليزاريوس أوقف زحفهم الى ما وراءها • وفى عام ٥٧٩ للميلاد توفى أنوشروان وخلفـــه ابنه هرمـــز دون استحقاق ؛ فخلع وقتل فى عام ٥٩٠ م • ونصب ابنه خسرو الثانى على عـــرش فارس وحكم الى عام ٦٢٨ م • وهو الحاكم الذى وجه اليه النبى الكـــــريم (سلام الله عليه) كتابا يدعوه فيه الى الاسلام •

---

(١) صلح انتالاسيداس — نسبة الى القائد الاسبرطى انتالاسيداس الذى ارغم اثينا وحلفاءها على التصالح مع الفرس •

(٢) قائد فارسى لمملكة فى شمال شرق فارس ، وتعرف الان بمنطقة خراسان •

(٣) الامبراطور الرومانى •

(٤) ملك الفرس •

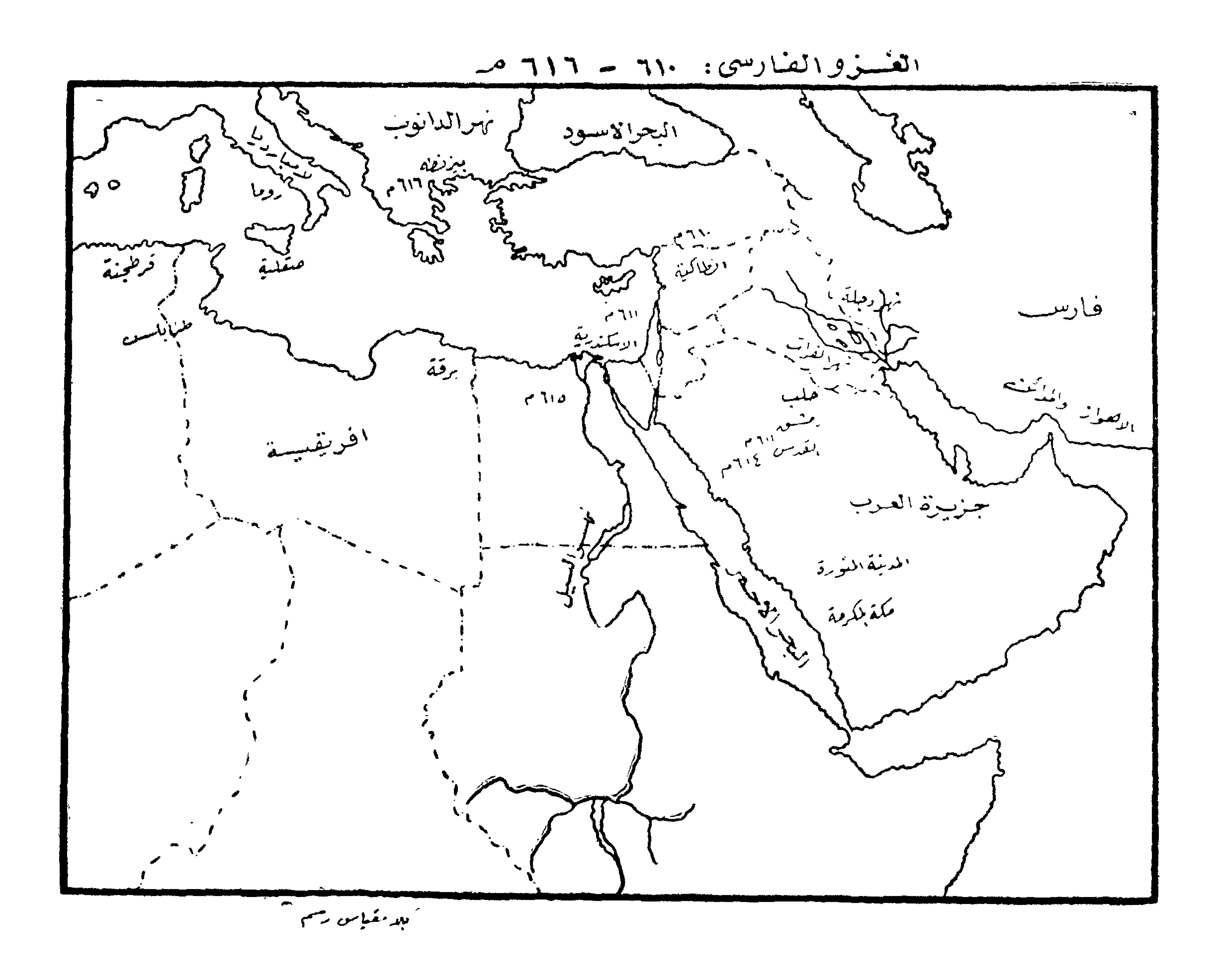
أما على الجبهة الرومانية . فقد عمد « فوكاس » ، وهو قائد مئة بسيط . الى اعدام الامبراطور موريس الرومانى فى عام ٦٠٢ م • واستولى على العرش الى أن خلعه هرقل نجل حاكم افريقية عام ٦١٠ م وحكم هرقل — وهو ذو شهرة فى التاريخ الاسلامى — الامبراطورية الشرقية الرومانية الى عام ٦٤٢ م • وفى أثناء حكمه فتح المسلمون الشام (سورية) ومصر ، وكانتا فى أيدى الرومان •

وكان للصراع بين هرقل وخسرو الثانى (٦١٠ — ٦٢٨ م) مغزى سياسى وروحى عميق ، وفى النصف الاول من هذه الفترة كانت موازين الحرب راجحة رجوحا ظاهرا ناحية الفرس ، اذ أنهم بحلول عام ٦١١ م ، كانوا قد فتحوا أهم مدن الشام وهى حلب وانطاكية ودمشق • وبين عامى ٦١٤ و ٦١٥ م سقطت القدس بدورها فى أيدى الفرس • وبعد سنة هزم الفرس مصر وبسطوا نفوذهم الى طرابلس • وحوالى هذا الوقت كانوا قد أغاروا على آسية الصغرى ووصلوا الى أبواب القسطنطينية •

وقد اغتبطت جزيرة العرب الملحدة بانتصارات الفرس الكافرين على روما المسيحية • كما فرح بذلك يهود الشام الذين كانوا يعيشون بصفة دائمة تحت استبداد المسيحيين وقهرهم • ولكن ، فى حين أن الفرس والكفار واليهود كانوا يتهللون لهذه الانتصارات ، كان القرآن الكريم يتنبأ بخطط أخرى مختلفة عن ذلك كل الاختلاف • فقد جاء فى سورة الروم (الآيات الثانيــة والثالثة والرابعــة) : **« غلبت الروم فى أدنى الارض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون »** • وقد كان لهذا الكلام المنزل أثره المنشود فى تعزيز قوة المسلمين ومنحهم الثقة المطلوبة ، ولكن لم يكن له الا أثر قليل فى الكفار الذين جعلوا من المسلمين موضوع سخريتهم واستهزائهم •

وفى الحرب الفارسية الرومانية لم يحدث قط أن خضعت جزيرة العرب نفسها لأى من الفريقين ، وأن ضمت المناطق النائية الى الطرفين فى أوقات مختلفة • ولكن جزيرة العرب تعرضت للمؤثرات الثقافية والحضارية لكل من الدولتين • وعلى غرار ذلك ، كانت هناك علاقات ثقافية وسياسية وثيقة بين جزيرة العرب والحبشة،

الغزو الفارسي: ٦١٠ - ٦١٦ م



بدون مقياس رسم

وهى مملكة الى الناحية الأخرى من البحر الأحمر • وقد خضعت اليمن للنفوذ الفارسى ؛ بينما اصطنع الرومان فى أيام جستينيان حلفا مع الحبشة • وهكـذا أصبح الفرس والأحباش يحارب كل منهما الآخر ، كما كان ساحل اليمن فى جزيرة العرب فى متناول الفرس ناحية البحر : فاستغلوه استغلالا كبيرا كمسرح لعملياتهم الحربية •

وفى عام ٥٧٠ م ، وهو العام الذى ولد فيه الرسول (صلوات الله عليه) جرد أبرهه الحاكم الحبشى فى اليمن حملة لتدمير الكعبة فى مكة المكرمة . ولكنه هـزم هزيمة ساحقة مدمرة • وقد وردت اشارة الى هذه الحملة التى شنها أصحاب الفيل فى القرآن الكريم اذ جاء فى سورة الفيل « **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل • ألم يجعل كيدهم فى تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول** » •

وفى الوقت عينه ، كانت الجماعة الاسلامية الصغيرة فى مكة المكرمة عرضة لاستبداد قريش وقهرها منذ جاء الاسلام . وعوملت طوال الوقت بأبشع أنواع التعذيب والاضطهاد ، فكانت تتعرض للسخرية والاعتداء . وكان الـذين يقعون منهم فى أيدى العدو يوثقون بالسلاسل ويزج بهم فى السجون . بينما كان غيرهم يتعرضون لمضايقات اقتصادية واجتماعية طويلة الأمد • واشتد ضغط العدو حتى بلغ ذروته عندما أنكرت قريش على المسلمين الحق فى الوصول الى الحرم الشريف لأداء فرائضهم الدينية • وكان هذا التحرش بالدين بمثابة اعلان للحرب على الاسلام . واضطر المسلمون فى آخر المطاف الى الهجرة الى المدينة المنورة بعد ذلك باثنى عشر عاما . فى عام ٦٢٢ للميلاد •

وقد ترتبت على هجرة المسلمين الى المدينة المنورة أحداث وقرارات لهـا نتائج وعواقب بعيدة المدى بالنسبة اليهم • فعندما كانوا فى مكة المكرمة ، لا أعلنوا بأنهم أمة ولا منحوا حقا باللجوء الى الحرب • ولكن اذ كانوا فى المدينة المنورة جاءهم التنزيل الالهى بأنهم « أمـة » واذن لهم بأن يشهروا السلاح فى وجوه

غاصبيهم • وسرعان ما تحول هذا الاذن الى أمر الهى يجعل من الحــرب فرضا على المؤمن •

وقد جاءت الرسالة المسندة الى الدولة الجديدة مؤكدة انها دولة وسط . وأنها متوازنة ، وبأنها ذات طابع عملى عالمى • « **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا** »(سورة البقرة الآية ١٤٣)• كما جاء فى آية أخرى فى القرآن الكريم« **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** (سورة آل عمران الآية ١١٠) • وبفضل هذه الآيات المنزلة . وضعت دعائم الفلسفات السياســـية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية للدولة الجديدة ، واســـــتقرت أسس استراتيجيتها وسياستها • كما انها اقترنت بسلسلة من الآيات المنزلة الخاصة بسياسة الدولة وكيانها الاجتماعى الاقتصادى •

وصفوة القول أن الدولة الحديثة عهد بالانشاء ، قد وجهت الى اتباع طريق العدالة والفضيلة والاعتدال فى جميع معاملاتها الداخلية والخارجية . وأمرت بأن تقيم ميزانا معتدلا بين الصرامة الشـــديدة فى القانـــون الموســوى وبين «الدنيويات الأخرى» والمعلنة فى المسيحية • كما طلب منها ان تكون على يقظة واستعداد للقيام بمهمة المحكم أو مجرى العــدالة بين الأنظمة المتزاحمــة فى العالم • وكما قال العلامة **عبد الله يوسف على** (١) ، فان على دولة الاسلام أن تعيش لا لنفسها بل للانسانية بأسرها •

والى جانب هذه الاعلانات ، أعطيت الدولة الجديدة قبلة فى مكة المكرمة لتحل محل سابقتها المعلنة فى بيت المقدس • ولم يقصد بالقبلة الجديدة مجرد تحــديد الاتجاه الذى يتخذه المسلمون عند الصلاة ، وانما قصد بها كذلك أن تكون علامة مميزة للمسلمين ورمزا يشير الى وحدتهم العالمية • وقد قال الله تعــــالى :
« **قد نرى تقلب وجهك فى السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شــطر**

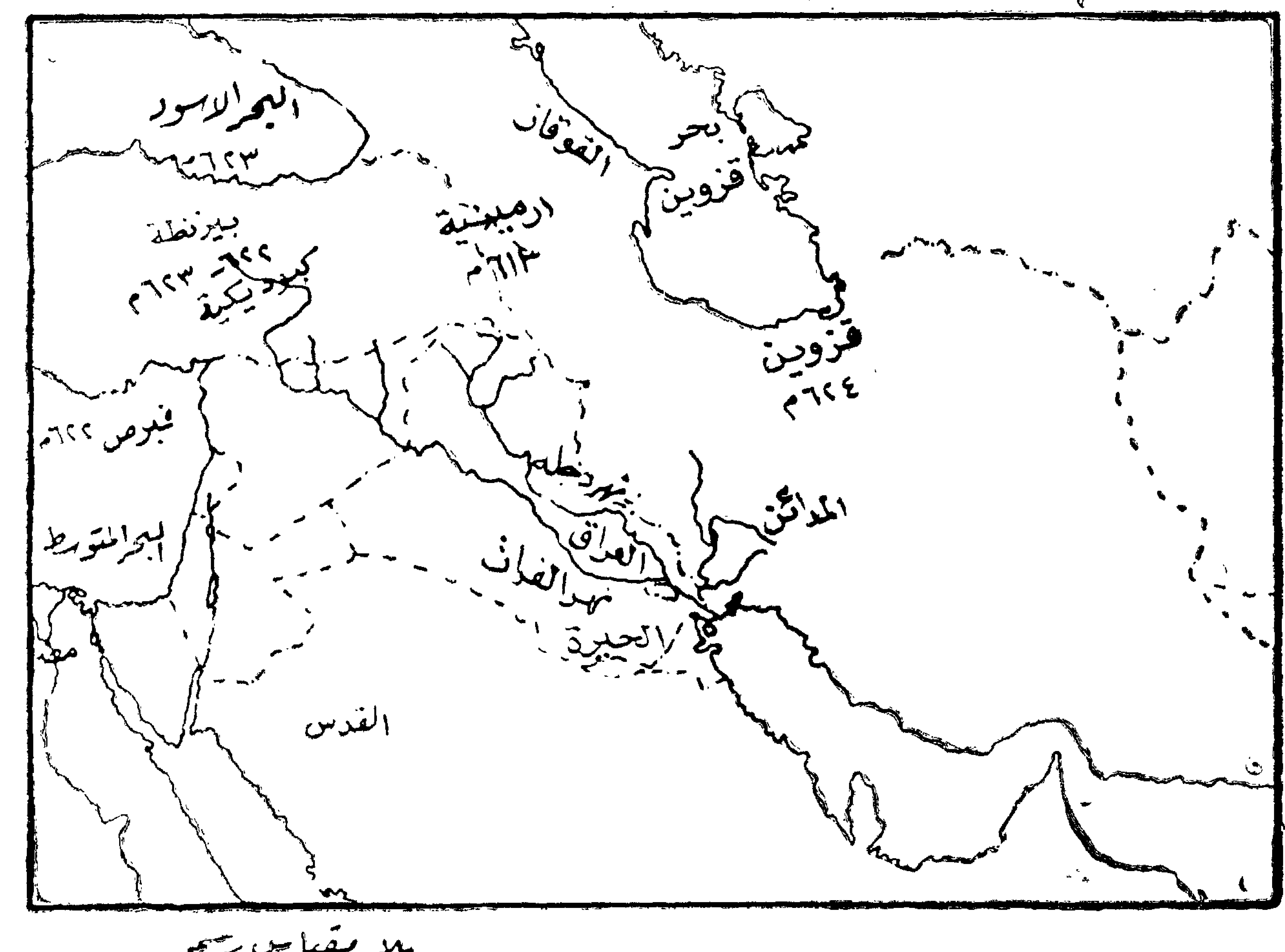
(١) باحث اسلامى باكستانى .

المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره .. لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم» (سورة البقرة الآيات ١٤٤ و ١٤٩ ــ ١٥٠).

ومنذ يومها الأول . واجهت الدولة الناشئة فى المدينة المنورة تهديدا من ثلاثة خصوم . وكان التهديد المباشر لها منبعثا من الطائفة اليهودية فى المدينة المنــورة كما أنه كان لليهود كيان مزدهر فى شمال الجزيرة العربية فى العلا والمقنى وتبوك وتيماء ووادى القرى وفدك وخيبر . وكانت هناك قبائل للكفار تقيم حول المدينة المنورة وتشارك قريشا عقيدتها الدينية وكانت لها معاملات ســياسية واجتماعية طويلة معها . غير أن الخطر الرئيسى على كيان الدولة جاء من مــكة المكرمة التى تبعد عنها بأربعمائة ميل وفيها يكمن المركز المحورى للحرب بين المسلمين وكفــار الجزيرة . على أنه كان هناك خصم آخر ، أشد خطورة من هؤلاء ، لم يلبث أن قفز الى الساحة بعد ذلك . وقوام هذا الخصم هو المنافقون الذين كانوا فى الظاهر يعلنون ولاءهم للاسلام ولكنهم كانوا فى الباطن مشغولون بالأسباب الكفيلـــة باقتلاع جــذوره .

اما فى الجبهة الفارسية الرومانية ، فان الانذار الالهى للفرس بدأ يتحقق فى عام ٦٢٢ للميلاد . وهى سنة الهجرة . وحلت هذه الهزيمــة فى عام ٦٢٨ م . فبعد استيلاء هرقل على الامبراطورية البيزنطية شن على الفرس هجوما مضادا حاشدا حاذقا . فعبر الدردنيل واخترق أرمينية فى عام ٦٢٣ م وهزم قزوين . وفى السنة التالية هزم كيليكية وفى نفس الوقت رد عدوانا من جانب « الآفار » عــلى القسطنطينية . وفى عام ٦٢٧ م . هزم الفرس هزيمة شاملة فى معركة نينـــوى وأكره ملكهم على الجلاء عن خلقدونية ومصر والشام . وفى سنة ٦٢٨ م أغتيــل خسرو أبرويز . وطبقا لاتفاقية معقودة بين الامبراطوريتين . أعيدت التخوم الى ما كانت عليه فى عام ٦٠٢ م . وأعيد « الصليب الأصلى » الى البيزنطيين وتحقق الانذار الالهى . وبعد ذلك بسنة ، أى فى عام ٦٢٩ م . ، كانت القوات الرومانية عائدة من فارس عندما خاضت لأول مرة حربا مع المسلمين فى ساحة القتــال

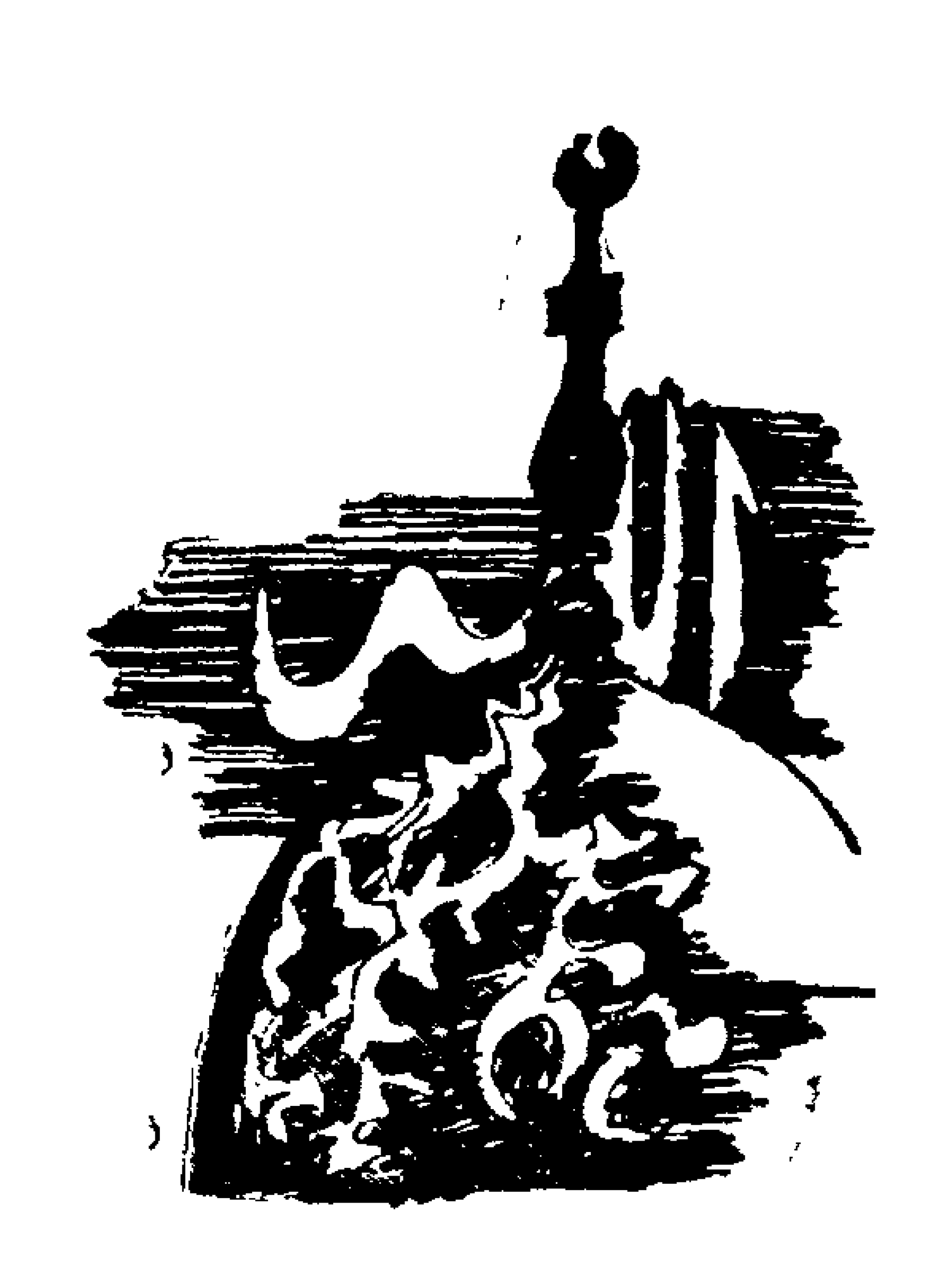
الهجوم الروماني المضاد : ٦٢٢ - ٦٢٨ م .



بلا مقياس رسم .

فى مؤته • وبعد عامين ، حشدوا قوة ضخمة فى تبوك ووجهوا تهـديدا مبـاشرا الى سلامة الجزيرة العربية المسلمة •

ولمـا لقى الرسول (صلوات الله عليه وسلامه) وجه ربه ، اضطر المسلمون بحكم الظروف الى مقاتلة الرومان والفرس فى وقت واحـد • ومع اشراق شمس الاسلام ، اختفت الامبراطورية الفارسية من الخريطة الجغرافية سنة ٦٨٠ م • وحوالى ذلك التاريخ كان المسلمون قد فتحوا الشام ومصر والاناضول وبرقـة وطرابلس الغرب وارمينية وانتزعوها من أيدى الرومان أيضا •



الفصل الثالث

* « أقلوا الخلاف على امرائكم، فلا جماعة لمن اختلف عليه . واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل ، فتثبتوا ، فأن احزم الفريقين الركين ، ورب عجلة تعقب ريثا وأدرعوا الليل ، فانه أخفى للويل وتحفظوا فى البيات » .

أسباب الحرب



ما استبدت مشـــاعر الغيرة والحقـــد بقابيل فقتل أخاه الأصغر هابيل ، والجنس البشرى يحارب بعضه البعض الآخر لأســـباب شتى • وقد أجرى العلماء من الباحثين طائفة من الدراســـات لمعرفة أسباب الحروب •

ومما جاء فى الدراسة الاكاديمية التى وضعها لويس ف • ريتشردسن (١)عن « **السيكولوجية الرياضية للحرب** »وعن « **احصاءات خاصة بالمعارك الدموية** » ان الحروب تنفجر نتيجة لمرض متغلغلفى العقل الانسانى ، وان العلاج الشائع للحرب هو الحرب نفسها ـ مع الأسف • وهو يرى أن الحروب العنيفة السجال تضفى مناعة على الذين جربوها ، ولكن كلما برز جيل جديد ، اختفت هذه المناعة وأصبح دخول الحرب محتاجا الى حماسة متجددة • كما أن الفيلســـــوفين آدم سميث (٢) وتوماس هوبز (٣) انتهيا الى الرأى القائل بأن الحرب جزء لا يتجزأ من الطبيعة البشرية • وقد لاحظ العالم المؤرخ المشهور ارنولد توينبى — وهـــو معاصر لنا — أن التاريخ الانسانى يمر بدورة حرب وسلم ، وأن هذه الـــدورة تكتمل مرة كل ما يزيد على مائة سنة بقليل • وفى رأيه أن التاريخ الأوربى أتـــم دورة كاملة بين عامى ١٨١٥ و ١٩١٤ •

---

(١) باحث انجليزى عرف بمؤلفاته فى علم النفس والعلوم عامة •

(٢) عالم فى الاقتصاد عرف بكتابه الشهير « ثروة الامم » الذى يعد أساس الاقتصاد الحديث •

(٣) فيلسوف انجليزى قال بنظرية وجود تعاقد اجتماعى لتنظيم شئون الدولة •

ويرى برنارد برودى (١) أن أسباب الحرب تعزى الى عوامل اقتصادية وسياسية ونفسية • وتشن الحروب أيضا رغبة فى التوسع أو فى الاستيلاء على الحكم أو الاستقلال أو الثورة والتحرير • وقد أشعلت ألمانيا نيران الحرب العالمية الثانية لتحقيق خططها الجغرافية السياسية الخاصة بايجاد « مجال حيوى ألمانى » • وتابعتها اليابان لانشاء المجال الكبير للمشاركة فى الرخاء فى شرق آسيا • وفى الكتاب المعنون « أسباب الحرب » الذى ألفه جفرى بلينى (٢) ركز على القوى التى تؤدى الى وقوع الحرب ، فانتهى الى ان هذه القوى تتفاوت بين الروح القومية والمذاهب السياسية وحالة الهوس التى تنتاب صانعى القرار ، وبين الطاقة الحربية المتاحة للدول وأحوالها الاقتصادية وائتلافها ووحدتها فى الداخل •

ويشير كوينسى رايت (٣) فى كتابة الضخم « دراسة الحرب » الى ان الحرب مرض اجتماعى ينبغى تشريحه فى جميع ظواهره التماسا لعلاج له • وقال فى تعريف الحرب انها « وضع قانونى يسمح لجماعتين أو أكثر بينها عداوة بأن تتساوى فى الاقدام على القتال باستخدام أساليب الصراع المسلح » • وقد انتهى الى ان الحروب تنشأ بسبب وجود تناقضات بين نظريات معينة وبين كيفية التطبيق العملى لهذه النظريات • وهو يصنف أسباب الحرب فى مجموعتين من الأسباب : هى أسباب نظرية أو فلسفية وأسباب فعلية • أما الأسباب النظرية فتتعلق بالآراء الفلسفية أو الفكرية ؛ بينما الأسباب الفعلية تستخلص من أجراء دراسة تحليلية لحروب معينة •

وقد قسم كوينسى رايت الأسباب النظرية للحرب الى أسباب علمية وتاريخية وعملية • وفى رأيه ان الأسباب العلمية تكمن فى وجود قصور فى المعرفة الاجتماعية وفى وسائل الضبط والسيطرة • أما الأسباب التاريخية

---

(١) معلق عسكرى •

(٢) معلق عسكرى •

(٣) من علماء القانون الدولى •

فتشمل قضـــايا مثل المشكلات الداخلية ؛ والسياســات العدوانية الأجنبيــة ، والمنازعات المعلقة دون حــل ؛ والتطورات الجديدة فى النظرية العســكرية وفى أساليب الحرب والاســلحة ؛ والادعاء بحـــق اسرة فى المطالبة بعـــرش ، والمنافســات التاريخية • أما الأســباب العملية فتنشأ عــن تعقيدات الطبيعــة البشرية من حيث مطامحها وأمانيها وعداواتها وطيشها • ومن رأى هذه المدرسة فى التفكير ، أن الحروب تخلق لكى تبقى وتســتمر ، ولكى تســاعد على تكديس الثروات وتحقيق السلطة والتضامن الاجتماعى ، وللاهتداء الى مخــرج مريح من أسباب الملل والتفسخ •

ويهمنا بوجــه خاص ما اســتنتجه كوينسى رايت عــن أســباب الحروب استنادا الى دراسة حالات معينة للحروب ؛ لا ســيما وأنه لم يقتصر على دراسة حرب المئة عام وحــرب الثلاثين عاما والحروب النابليونية والحرب العالمية الأولى بل أضاف الى ذلك دراسة حالة الحروب الاسلامية القديمة والحروب الصليبية • وبتحليل الحروب الاســلامية المبكرة ؛ قرر كوينسى رايت أن أسبابها تعود الى ما تعرضت له جزيرة العرب من تحرش وضغط من جانب جيرانها ، والى الرغبة فى اطلاق طاقة فائضة ؛ والى متاعب اقتصادية وكظة سكانية والى الحاجــــة الى صيانة الوحدة الداخلية . والى أن للعرب عقلية حربية تقليدية ، والى نظرية الجهاد • وفى رأيه أن الحرب الصليبية هى النتيجة الطبيعية للحماسة المتجددة التى دخلت على المسيحية . والى ما اتخذته من أفكار جديدة حول الحروب العادلة والمطامع السياسية والمتاعب الاقتصادية •

والنظرية الدارجة عن أسباب الحرب هى أن الحروب قد تنشأ اذا تعرضت مصالح قومية حيوية غير متناقضــة للمخاطر • وفى هــذا يقــول فردريك هـ • هارتمان [1] أن نظام الدولة ذات السيادة يصــعب فيه التأكيد بأن الحــرب والسلام يتوقفان على القــرار الذى تتخذه كل دولة من هذه الدول • فالحــرب احتمال كامن فى هذا النظام • والذى يحول هذا الاحتمال الكامن الى قتال هــو

---

(١) باحث فى العلوم السياسية العسكرية •

التناقض القائم بين المصالح الحيوية لدولتين أو أكثر • وفى رأى هارتمـان أن أى سبب من الأسباب يصبح سببا جوهريا اذا ما اسـتقر فى وجـدان دولة من الدول بأنه كذلك ، وأن الحرب تقع لمجرد ان دولة ذات سـيادة قررت ان تغزو دولة أخرى •

وهناك بضعة اتجاهات يمكن ملاحظتها فى أسباب الحروب التى سردناها حتى الآن • وأول تلك الاتجاهات ، أن هـذه الأسـباب لا تنـدرج تحت نمط واحـد • والحروب المختلفة تقـع لأسـباب مختلفة • وثانيها أن أسـباب الحرب تتغير تبعا للتطورات والتغيرات التى تطرأ عـلى المجتمـع البشرى • فالاسـباب فى المجتمع القبلى تختلف عن الاسباب الماثلة اليوم فى نظام العلاقات الدولية • وثالثها أن أسـباب الحرب تتناول طائفة واسعة من ألوان الطيـف تتفاوت بين السـأم ، والتفسـخ ، وبين تحقيق المصالح القومية الجوهرية • ورابعها أنه ليس ثمة قانون دولى مقبول ولا محكمة ولا معايير موضوعية يمكن الاحتكام اليها لمعرفة هل أسـباب الحرب عادلة أو لا • فلكل دولة قيمهـا ومعاييرها الخاصـة فى تقرير مصالحها القومية وبالتـالى فى ايراد أسـبابها الخاصة بالحرب • وبتعبير هارتمان « أن ما يثير دولة ما فتخوض الحرب بسببه ، قد لايشعل حتى شرارة فى دولة أخرى » •

وعندما آمر القرآن الكريم المسلمين بأن يخوضوا الحرب مع خصـومهم ، عالج بتفصيل مسهب الأسباب التى تقضى باتخاذ قرار الحرب • وحتى يتسـنى لنا فهم هذه الأسـباب ، سنحاول بادىء ذى بدء أن نتابع ما أورده القـرآن الكريم من قانـون أساسى حـول حرمة الحيـاة الانسـانية وضرورة الحفاظ عليها • ولابد من التذكـير بأن الحياة الانسـانية لـم تكن لهـا الا قيمة تافهة عنـدما ظهر الاسـلام على المسرح العـالمى • ففى الجـزيرة العربيـة ، وفى روما ، وفى فارس وفى غيرها من جهـات العـالم ، كان الناس يقتلون أو يحرقون أو يدفنـون أحياء ويذبحون كالحيوان أو يعـذبون حتى الموت طلبا للتسـلية واللهـو ، أو للرياضة أو المتعة أو العادات والتقاليد والخرافات • وكانت أعمال القتـل الوحشـية هـذه تتم دون خـوف من مسـاءلة أمام القانـون • ثـم

جاء الاسلام فاستنكر هذه الأعمال غير الانسانية وأعلن ان للحياة البشرية حرمة وأصدر أوامر مشددة باحترام هذه الحياة والحفاظ عليها وحمايتها • وحرم الاسلام سلب الحياة البشرية الا لأسباب تتعلق بالقانون والعدالة ؛ كما طلب محاسبة كل من يقتل دون سند من قانون وأنذر بمعاقبته فى الدنيا والآخرة • وأشار القرآن الكريم الى أن مثل هذا الحساب يضمن الحفاظ على الحياة البشرية للمصلحة العامة للجنس البشرى نفسه •

وقد جاء فى سورة المائدة (الآية ٣٢) « **من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن احياها فكانما أحيا الناس جميعا** » • ومعنى هذه الآية أن سلب الحياة الانسانية دون حق خطيئة ؛ كما أن انقاذ روح هو عمل من اعمال التقوى والنبل • وتوسعا فى شرح هذا الأمر خاطب القرآن الكريم النبى محمد صلى الله عليه وسلم قائلا : « **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا •••• ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق• ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون** » (الآية ١٥١ من سورة الانعام)• وفى موضع آخر ، قال القرآن الكريم : « **والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ، ولا يزنون • ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا** » (سورة الفرقان الآيتان ٦٨ و ٦٩) •

وكما هو الحال بين الأفراد ، فان الحرب لاتنشب بين الدول الا تحقيقا للعدالة والحق والقانون وحفاظا على الجماعة البشرية • والفكرة المحورية وراء أسباب الحرب ؛ كما وردت فى القرآن الكريم ، هى أن الحرب تكون فى سبيل الله • ويتخذ هذا السبب أشكالا وصورا شتى فى مراحل مختلفة من تاريخ الاسلام • وفى السعى لتحقيق هذه الغاية أذن للمسلمين فى بادىء الأمر أن يحاربوا ، ولكنهم — فيما بعد — أمروا بأن يحاربوا فى سبيل الله باعتبار ذلك فريضة وواجبا من صميم الدين •

وأول آية نزلت حول هذا الموضوع تضمنت « اذنا » للمسلمين بأن يقاتلوا ، حيث جاء فيها «**اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله** » (سورة الحج الآيتان ٣٩ و ٤٠) ، ثم استطرد القرآن الكريم فى توضيح سبب منح هذا الاذن فقال : « **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا** » (سورة الحج الآية ٤٠) • وفى موضع آخر جاء فى القرآن الكريم : « **كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ، ويسعون فى الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين** » (سورة المائدة الآية ٦٤) • ولكن ماذا وضع الله فى أعناق هذه « الفئة القليلة » من الناس ليستطاع بمساعدتها الوقوف فى وجه الآخرين ؟ عن هذه الفئة يقول القرآن الكريم : « **الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر** » (سورة الحج الآية ٤١) •

وبعد بضعة أشهر من منح المسلمين اذنا بالدفاع عن النفس ، جاء الأمر الالهى باعتبار الحرب فريضة والتزاما من صميم الدين • فقد ورد فى سورة البقرة (الآية ١٩٠) « **وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا • ان الله لا يحب المعتدين** » • وبهذه الآية جىء بعناصر جديدة تتعلق بالأسباب المسموح بها للحرب • فالقتال لابد أن يكون فى سبيل الله ، وان يكون قتالا مع الذين بادأوا المسلمين بالحرب • وفى أثناء الحرب ، لاتجاوز للحدود التى رسمها الله • أما المعتدون ، فانهم معرضون لفقدان محبة الله • وفى توضيح هذه النقطة قال القرآن الكريم : « **واقتلوهم حيث ثقفتموهم ، واخرجوهم من حيث اخرجوكم ، والفتنة اشد من القتل ، ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه • فان قاتلوكم فاقتلوهم ، كذلك جزاء الكافرين** » (سورة البقرة الآية ١٩١) •

فماذا يعنى القرآن الكريم وماذا يضمره بقوله ان الفتنة والعدوان

أشد من القتل ؟ ان هذه الادانة مقصود بها قبيلة قريش على وجه التحديد ، لانها أنكرت على المسلمين حق الصلاة فى المسجد الحرام ، وهو انكار يرقى الى مرتبة اعلان حرب مفتوحة على الاسلام . والفكرة المحورية فى التناول الالهى لهذه القضية هى أنه ليس للكفار أى مسوغ لمنع المسلمين من أداء واجباتهم الدينية فى المسجد الحرام ، فى حين أن المسلمين لم يتعرضوا لممارسة الكفار لشعائرهم وطقوسهم . وفى هذا قال القرآن الكريم : **« ومالهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا اولياءه . ان اولياؤه الا المتقون ، ولكن أكثرهم لايعلمون »** (سورة الأنفال الآية ٣٤) . وجاء القرآن الكريم بتحديد أوضح لمعنى الفتنة والعدوان فى سورة البقرة الآية ٢١٧ حيث قال : **« يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل »** .

وقد أكد القرآن الكريم فى غير موضع واحد ضرورة القتال فى سبيل الله ، واتخذ هذا التأكيد أشكالا وصورا شتى . ففى سورة البقرة (الآية ٢٤٤) ورد : **« وقاتلوا فى سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم »** . وفى التفرقة بين المؤمنين والكافرين يقول القرآن الكريم فى سورة النساء (الآية ٧٦) : **« الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا »** . وجاء فى الآية ٨٤ من نفس السورة **« فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا والله اشد بأسا وأشد تنكيلا »** كما جاء فى سورة محمد (الآية ٧) : **« يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم »** .

وكان نجاح المسلمين فى الهجرة من مكة المكرمة الى المدينة المنورة قد صدم آمال قريش صدمة عنيفة ، وكانت قريش تأمل فى القضاء على الاسلام. ومن هنا حولوا بطشهم وقهرهم الى الذين اعتنقوا الاسلام حديثا وكانوا

يعيشون فى أماكن متفرقة فى الصحراء • وهنا يوجه القرآن الكريم سؤالا الى المسلمين : « **وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا ، واجعل لنا من لدنك نصيرا** » (سورة النساء الآية ٧٥) • وبعد الحديبية وقعت معاهدة صلح مدتها عشر سنوات بين المسلمين وأهل مكة • ولكن قريشا أخلت بالتزاماتها بموجب المعاهدة وبدأت تدبر المؤامرات للاساءة الى النبى الكريم وللعمل على اخراجه من المدينة المنورة أيضا • وفى هذا وجه القرآن الكريم سؤالا الى المسلمين : « **ألا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة ، أتخشونهم ، فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين** » (سورة التوبة الآية ١٣) •

ومن ثم ، فان السبب الرئيسى للحرب الذى يسمح به القرآن الكريم هو القتال فى سبيل الله • ومن وجهة النظر الانسانية ، تعتبر الحرب دعوة لتحرير الضعيف ومن يذوق ألوانا من الاساءات والاضطهاد من قوى الاستبداد والقهر • فالقضية هنا هى قضية الانسانية بعامة وليست قضية الجماعة الاسلامية بخاصة • كما أن انقاذ أماكن العبادة ، بغض النظر عن أى تفرقة دينية ، وحماية الانسانية من الشر وسفك الدماء هى أسباب لها طابعها العالمى والانسانى الحق • وجميعها ليس فيها أى شبهة من أى نوع كان من المغامرة أو الروح العسكرية أو التعصب أو المصالح القومية أو الدوافع الشخصية أو الاكراه الاقتصادى • ثم ان القرآن الكريم قد هيأ للانسانية معيارا موضوعيا له صلاحية عالمية للتطبيق ، به يحكم على عدالة الأسباب المفضية بالانسانية الى الحرب • فالحرب قد أذن بها لغرض واحد هو مقاتلة قوى الاستبداد والقهر •

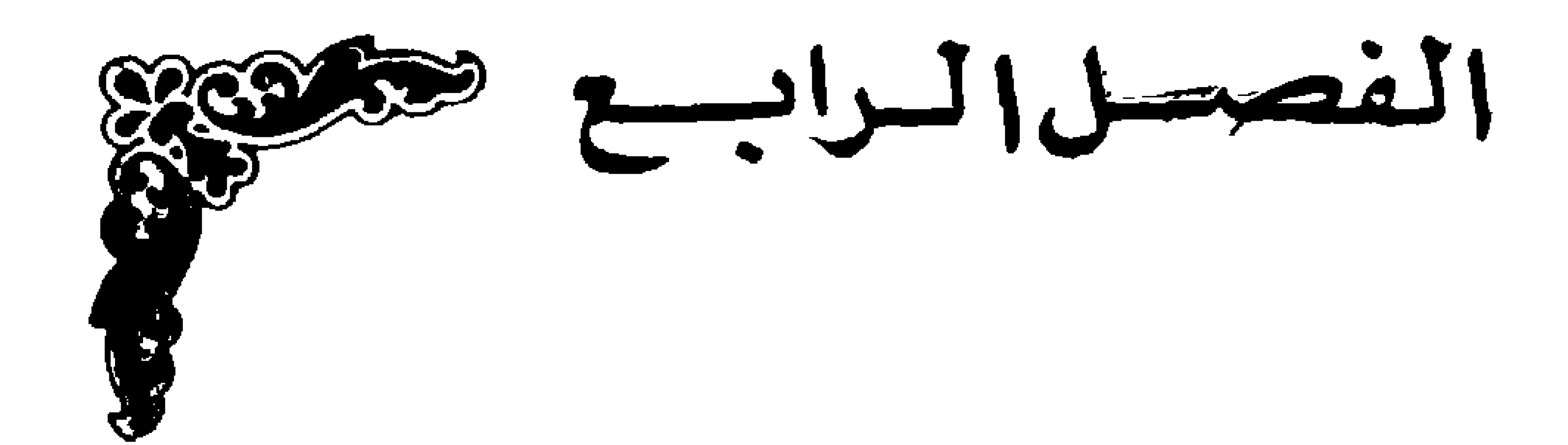
وقد فسر الدكتور حميد الله [1] الأسباب القرآنية للحرب وتطبيقاتها

---

(١) عالم يعنى بالدراسات الاسلامية •

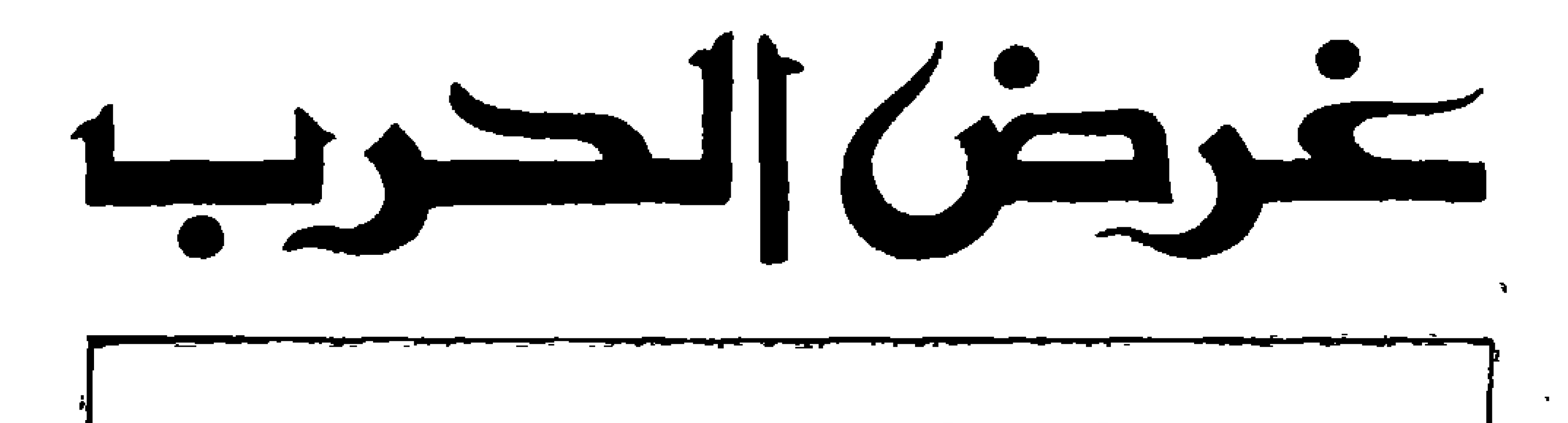
فى النظام الدولى المعاصر فى كتــابه الاكاديمى الموســوم « سياســة الدولــة الاســلامية » فساق طائفة من الظروف التى يجوز للدولة الاسلامية فى ظلهــا ان تشن حربا عــلى خصومها • وفى رأيه ان الحرب يتعين خوضها اذا اقـــدم العدو على غزو أرض اســلامية غزوا فعليــا ، أو اذا تصرف على نحو لايحتمل أو بأســلوب استفزازى يقصر دون الغزو الفعلى • كما أن فى الوســـع اعلان الحرب لأغراض تأديبية وانتقامية ووقائية ، ومن المسموح به أيضا استئناف حرب توقفت وبصفة وقتية ولأغراض تقصر عن وضــع صــيغة مقبولة للتعــايش أو اجراء ســلم دائم • ويجوز للدولة الاسلامية كذلك أن تخوض حربا مســلحة تأييدا منهــا لاخوانها الذين يعيشون فى دولة أخرى ، ولكن ذلك لا يكون الا بعد استقصاء كل حالة حسب وجاهتها ولا يؤخذ كقاعدة عامة •





« من أكثر النظر فى العواقب لم يشجع » .

على بن ابى طالب رضى الله عنه



عندما صاغ كلاوزفتز – أبو التفكير العسكرى الحديث وواضعه – تعريفا للحرب بانها « استمرار للسياسة بأسلوب آخر » ، فقد اراد بذلك ان يتحدى طلاب العلوم السياسية والعلاقات الدولية ليصوغوا نظرية حول موضوع « السياسة » . وهكذا وضع كلاوزفتز العربة قبل الحصان، وفرض على واضعى السياسة أن يدرسوا علم السياسة دراسة معمقة .

« فالسياسة » ليست البادئة بتعريف معنى « الحرب » ومجالها وحدودها ومداها ، وانما نقيض ذلك هو الصحيح ، لأن « الحرب » هى التى فرضت على « السياسة » أن تضع تعريفا لقواعدها وأن تحدد هذه القواعد .

وقد احتاج العقل البشرى الى مئات من السنين لكى يقدر – ان جاز هذا – العلاقة بين الاهداف والغايات الوطنية والمصالح القومية والسياسة الوطنية من ناحية وبين الحرب من ناحية أخرى – كما احتاج الى وقت أطول لكى يدرك أن الحرب تابعة للسياسة . وقد ارتفع المشتغلون بعلم السياسة الى مقتضيات المناسبة ووضعوا نظريات مؤداها أن السياسة – بمنتهى الايجاز – هى السعى لتحقيق المصالح القومية ، وأن الحرب تصبح أداة فى يد السياسة متى استهدفت المصالح القومية الحيوية غير المتضاربة للخطر . على أن هؤلاء فاتهم أن يقولوا لنا ما هى الاعتبارات التى تدخل فى تحديد المصالح القومية .

يقـول برنارد برودى (١) « ان المصـــالح القوميـــة لاتحـــددها الطبيعة ولايستطاع تعريفها استنادا الى أى قـواعد موضوعية متعارف عليها بصـــفة عامة • وبدلا من ذلك ، فان المصالح القومية هى نتيجة لقصور الحكم البشرى على الامور التى يكـون الاتفاق عليها داخل الامة أدنى فى العادة من أن يكون اتفاقا عالميـا شاملا » • ولا يشترط فى تعريف المصالح القومية ــ بمعناها المعـروف لنـا اليوم ــ أن يكون ذلك التعريف خاضعا بصفة جوهرية لاعتبارات السلام • أما وهـذا هـو الحال ، فالنتيجة المنطقية لنظرية المصالح القومية فى النظـام الدولى اليـوم هو التوتر والحرب لا السلم والوئام والعدالة والتفاهم • والواقع ان المصالح القومية تنشىء حلقة مفرغة شريرة (٢) لا نهـاية لهـا ، قاسـمها المشـترك هو « الحرب » لا « السـلم » •

ونقيض فلسفة المصالح القوميـة ، لدينا ــ ولو من قبيل التسـجيل ــ مدرسة أخرى للتفكير موازنة لهذه الفلسفة ومن رأيها ان الحرب لابـد أن تفضى الى سـلام دائم مقيم • والقائلون بهـذه النظرية من اتباع هذه المدرسة قـوم مثاليـون يفتقرون الى المنهجية اللازمة لتطبيق هذه النظرية • ومما قالـه ليدل هارت (٣) « ان الغرض من الحـرب هو تهيئة وضـع أفضل للسلام ، ولـو من وجهة نظرك » ــ قاعـدة بسيطة مؤداها ان السـلام فى جوهره مسـألة ذات شقين • فلا يمكن تصور سلام دون قيـام ضرب من ضروب التفاهـم أو التسوية أو التراضى فيمـا بين الأطراف المتنازعة جميعا • وطبيعى أن فـرض سـلام من جانب واحـد هـو عمل آخر يراد به تحقيق مصـالح ذاتية قومية، مع ما ينطـوى عليـه ذلك من ملابسات وعواقب • والسلم الذى فرض من جانب واحد على المانيا بعد الحرب العالميـة الاولى لم يجلب للانسـانية سلما وأمنا • وانما جلب لهـا ــ بـدلا من ذلك ــ مزيدا من سـفك الدم والبؤس بعد أقل من عشرين عاما •

---

(١) معلق عسكرى •
(٢) شر يفضى الى شر فى حلقة لا نهاية لها •
(٣) معلق عسكرى شهير •

كما أن مؤتمر يالتا الذى أنهى الحرب العالمية الثانية ووضــع استراتيجية الحلفاء لفترة ما بعد الحرب قد تعرض لانتقادات شديدة بسبب ما فيه من أوجه نقص وقصر نظر • وكان الجنرال فولر (١) واحدا من الذين انتقدوا هذا المؤتمر انتقادا شديدا ، شأنه فى هذا شأن كثيرين غيره من المشتغلين بعلوم السياسة والحرب • وفى رأيه ان قادة الحلفاء قد ضحوا بالضرورة الحيوية الخاصة بتحقيق سلام دائم على مذبح الحصول على استسلام غير مشروط من جانب ألمانيـــا • ولكن هذا المفكر العسكرى العظيم لم يستطيع أن يقدم لقادة الحلفاء بديلا لهذا الحل • ومع اقتراب الحرب العالمية الثانية من نهايتها بدأ جهد الحلفاء ينحو هـــو أيضا نحو مراعاة المصالح القومية لكل منهم • على ان كل فريق منهم كان له تفســـيره الخاص بشأن مكونات مصالحه القومية المســـتنيرة • رأت روسيا ان مصالحها تكمن فى غزو قلب أوربا ، بينما رأى الحلفاء أن مصالحهم تتحقق بتدمير القوة العسكرية الالمانية •

وكلما طورت الدول الاوربية وسائل تدمير بعضها البعض ، أخذت تفكر مليا فى اعتبارات السلام • وقد ساد هذا التفكير بعد انتهاء كل حـــــرب مدمرة وبعد وقوع الانفجار النووى فى هيروشيما ونجازاكى ، ولكنه لم يدم طـــويلا ، اذ أن الاوربيين سرعان ما أدركوا أن هناك وسائل للوقاية من أسلحة كان الاعتقاد السائد فى وقت ما بأنها أسلحة ساحقة ماحقة • ومع حدوث هذا التطـــور ، عادت عناصر الانحطاط والتدمير عندهم تتغلب على عناصر العقل والحكمة • وهناك دوافع مماثلة تكمن وراء عصرنا الحالى ، عصر الوفاق والردع • ولم تطـــــرأ اعتبارات السلم على العقل البشرى الا عندما أصبح الخيار أمامه بين أمرين ، هما « الانتحار » أو « التعايش » ، وهما نتيجة لمقتضيات الضرورة وليسا نتيجة لأى سياسة أو فلسفة متجانسة معترف بها • وفى الماضى ، أخفقت هذه الاعتبارات فى الصمود أمام امتحان الزمن ، وهى فى الحاضر لم تنجح فى تحقيق سلام عالمى دائم ، والواقع انها تفتقر الى أى دور ذى بال تلعبه حتى فى المستقبل •

---

(١) قائد عسكرى وباحث فى العلوم العسكرية .

والتاريخ يسوق لنا أمثلة كثيرةعلى أن ما يسمى بمعاهـــدات الصـــلح والاحلاف الدفاعية ما عقدت الا لاســـتطالة الحروب • وفى هذا قال هتلر **« ان أى حلف يعقد لغير غرض شن الحرب هو حلف ليس له معنى أو أساس »** • والواقع ان جرثومة الحرب العالمية الثانية كانت كامنة فى معاهدة فرساى التى عقدت لانهاء الحرب العالمية الاولى • وفى عام ١٩٣٨ ، دلل هتلر على نظـريته الخاصة باقدامه على توقيع ميثاق مع روسيا التى لم يلبث أن غزاها بعـــد أن دحر فرنسا • ومناطق النزاع فى عالمنا اليوم ، والتى قـد تكون سببا فى اشعال نار الحرب المقبلة ، هى نتيجة مباشرة أو غير مباشرة لمؤتمر يالتا الذى رسم غيـه قادة الحلفاء خريطة جغرافية لعالم ما بعد الحرب • وما أكثر الامثلة التى يمكن أن تساق لابراز هذه النظرية الجديدة الخاصة **« بالدبلوماسية »** •

وقد أوضح القرآن الكريم غرض الحرب المقدسة ضد الكفار بمجرد أن صدر الامر للمسلمين بأن يخرجوا للقتال • اذ جاء فى سورة البقرة (الآية ١٩٣): **« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله »** • وقد تكرر مثل هذا الامـــر بعد انتهاء الحرب فى معركة بدر بعد حوالى عام ، اذ جاء فى القرآن الكريم فى هذه المناسبة **« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، فان انتهوا فـــان الله بما يعملون بصير »** • وهذه الايات تقرر الغرض الالهى الاسمى والمطلق وراء شن الحرب تحقيقا للسلم والعدل والايمان • وكما قلنا فى الفصل السابق ، فـــان تحقيق هذه الأوضاع يتطلب القضاء على الاستبداد والاضطهاد والقضـــاء على الفتنة والقهر يتخذ مظاهر شتى ، ولكن جوهره واحد وهو استرداد حق المسلمين فى العبادة فى المسجد الحرام •

ويلاحظ أن القرآن الكريم حرص فى المراحل الأولى لتحقيق هذا الغـــرض على اعطاء الكفار فرصة ينتهزونها بحرية للتعاون والمشاركة فى انشاء أوضـــاع السلام العادل الدائم ، وفى أثناء هذه الفترة فرضت على المؤمنين طائفـــة من الأحكام والضوابط التى من شأنها حملهم على انتهاز أول فرصة لوضع حـــد لحالة الحرب • فقد طلب منهم أن يتجاوبوا مع كل بادرة تبدر من خصومهم لوضع حد للحرب أو الدخول فى سلام معهم • فقد أمرهم القرآن الكريم فى ســـورة

البقرة (الآية ١٩٣) بمراعاة ذلك « **فان انتهوا ، فلا عدوان الا على الظالمين** » • ومضى الى أبعد من ذلك فأكد فى سورة الانفال (الآيتان ٣٩ و ٤٠) : « **فان انتهوا، فان الله بما يعملون بصير • وان تولوا ، فأعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير** » كما نبههم القرآن الكريم فى سورة البقرة (الآية ١٩٢) قائلا عن الكفار « **فان انتهوا فان الله غفور رحيم** » • والمعنى الضمنى لهذه الآيــات هو أن العدو ينبغى الا يعامل بضغينة فى مثل هذا الموقف • وعلى المســلمين ان ينتهجوا نهج ربهم فى الصفح والغفران على الدوام ، كذلك أمر القرآن الكريم المؤمنين فى سورة الآنفال الايات (٦١ و ٦٢) بأن يعاملوا الأعــداء على النحو التـــالى :

« **وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ، انه هو السميع العليم • وان يريدوا ان يخدعوك ، فان حسبك الله هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين** » •

وان التأكيد الالهى بضرورة التجاوب مع العدو ان جنح للسلم ليثير سؤالا بشأن امكان الدخول فى معاهدات واحلاف مع الاعداء • فكان لا معدى تلقاء هذا الموضوع ، من النص على فلسفة واضحة ومنهجية صريحة • وفى هذا الصدد ، قدم القرآن الكريم للمسلمين نظرية تستند الى العدالة والمســاواة والمعاملة بالمثل • وتنطبق هذه النظرية على المواثيق بين الانســان والله وعلى المعاهدات والأحلاف بين الأمم والدول • أما فيما يتعلق بالمواثيق بين الانســان والله ، فان القرآن الكريم قد أعاد الى الذاكرة العهود والمواثيق المبرمة مع بنى اسرائيل، وقد وردت بشأنها فى ســورة البقرة فى الآية الأربعين : « **يا بنى اسرائيل ، اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم ، وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم** » • كما انذر القرآن الكريم ناكثى العهد مع الله العلى العظيم المفسدين فى الأرض ، فقــال فى سورة البقرة (الآية السابعة والعشرون) : « **الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفســدون فى الأرض اولئك هم الخاسرون** » • وكما هو الشأن فى المواثيق بين الانسان والله ، فكذلك بين فى الاتفاقيات التى تعقد بين الدول حيث يتعين على الجانبين مراعاتها • فلا يسع المسلمين أن ينفذوا ما تعاهدوا عليه اذا ظل الــكفار ينقضون تعهداتهم ، ولكنهم



يحترمون تعهداتهم اذا فعل الكفار نفس الشيء • وقد جاء فى سورة التوبة (الآية السابعة) : « **فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم • ان ألله يحب المتقين** » • وهذا هو الامر الالهى بالنسبة للاتفاقيات التى تعقد فيما بين الدول •

ولكن ، ما هو الحال بالنسبة للكفار الذين نكثوا عهودهم ونقضوا معاهداتهم ؟ فى هذا خاطب القرآن الكريم المسلمين قائلا : « **الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون • فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون** » (سورة الانفال الآيتان ٥٦ و ٥٧) • فاذا ارتابوا فى أن الكفار يريدون الغدر بهم ، فقد جاء فى سورة الانفال (الآية ٥٨) « **واما تخافن من قوم خيانة ، فانبذ اليهم على سواء ، ان الله لا يحب الخائنين** » • وفى مناسبة تالية قضى القرآن الكريم بأن الكفار « **وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا ائمة الكفر ، أنهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون** » (سورة التوبة الآية ١٢) •

وقد ظلت السياسة الموضحة فيما تقدم سارية فترة تقرب من ثمان سنين ، بين عامى ٦٢٢ و ٦٢٩ م • وفى خلال هذه الفترة ، بقيت بعض قبائل الكفار مقيمة على معاهداتها مع المسلمين ، فعاملهم المسلمون بمثل وفائهم نصا وروحا • غير ان غالبيتهم كانت قد تعاهدت مع المسلمين بقصد التماس مهرب مؤقت من موقف عسير ، فلما استطاعوا ان يتفوقوا على المسلمين أو يلحقوا بهم ضررا ، نكثوا عهودهم • فلما طالت فترة التسامح جاء الأمر الالهى بالتعامل مع الفئة التى انشقت وخانت العهد ، ولم يعد هناك مسوغ للاستمرار فى تحمل تبعة المعاهدات المعقود معهم ، ومن ثم وجب نقضها • فقد جاء فى الآية الاولى من سورة التوبة التى نزلت فى السنة التاسعة للهجرة : « **براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين** » • وبعد بضعة أشهر ، صدر توجيه الهى مماثل الى القبائل العربية التى اجتمعت فى مكة للحج جاء فيه : « **وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله برىء من المشركين** » (سورة التوبة الآية الثالثة) •

ومنح الكفار الذين نقضت معهم المعاهدت مهلة أربعة أشهر يعيدون ،

فيها ترتيب استراتيجيتهم • وفى هذا يقول القرآن الكريم فى ســـــــورة التوبة (الآية الثانية) **« فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر ، واعلموا أنكم غير معجزى الله وان الله مخزى الكافرين »** واذ اخفقوا فى انتهاز هذه الفرصة المتاحة لهم، أمر القرآن الكريم جموع المسلمين بأن يقتلوا المشركين حيث وجدوهم ــ كما جاء فى سورة التوبة بالآية الخامسة • ولكن الله تعالى شاء فأعطى الذين صدقوا فى حفظ العهد فرصة الاستمرار فى التعاهد الى نهاية مدته • فقـــــد جاء فى الآية الرابعة من سورة التوبة : **« الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا » ، فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين »** • وواضـــــح من هــذه الآيات المنزلات ان المسلمين مأمورون بالوفاء بالتزاماتهم التعاهدية للفترة المنصوص عليها فيها ؛ ولكنهم ليســـــوا ملزمين بتجديد هذه التعاهدات •

وقد جاء فى سورة التوبة (الآية السابعة) تفسير للاعتبارات التى تكمن وراء هذه القرارات حيث قيل : **« كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المســـــجد الحرام • فما اســـتقاموا لكم فاســـــتقيموا لهم • ان الله يحب المتقين »**• واستنادا الى هذه التوجيهات ؛ استثنيت قبيلتا بنى حمزة وبنى كنانة اللتين حافظتا على ما عاهدتا عليه عند المســـــجد الحرام ، واستمتعتا بالمزايا الكاملة لوفائهما • ومضى القرآن الكريم يشرح هذه النقطـــة فقال فى الآية الثامنة من سورة التوبة : **« كيف وان يظهروا عليكم لايرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون »** • أما حكم القرآن على هؤلاء فهو : **« اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله أنهم ساء ما كانوا يعملون • لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة وأولئك هم المعتـــدون »** (سورة التوبة الآيتان التاسعة والعاشرة) •

ولكن القرآن الكريم ترك باب الرحمة والغفران مفتوحا أمام التـــــائبين الصــــــادقين : **« فان تبتم فهو خير لكم ، وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزى الله • وبشر الذين كفروا بعذاب اليم »** • (سورة التوبة الآية الثالثة) • وجاء فى القرآن الكريم أيضا : **« فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم**

ان الله غفور رحيم » (سورة التوبة الآية الخامسة) • وجاء فى موضع آخر من سورة التوبة (الآية الحادية عشرة) : **« فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين • ونفصل الآيات لقوم يعلمون »** •

ومما يذكر أن المشركين ظلوا ما يقرب من ثمان سنين ينكرون على المسلمين حق دخول المسجد الحرام والعبادة فيه • ولما فتح المسلمون مكة المكرمة ظل المشركون يترددون ما يقرب من سنة على المسجد الحرام ليؤدوا فيه شعائرهم الدينية حتى أمرهم الله بالكف عن ذلك • فقد جاء فى القرآن الكريم **« ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر • أولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون »** (سورة التوبة الآية السابعة عشرة) • ومضى القرآن يقول **« انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة واتى الزكاة ولم يخش الا الله • فعسى أولئك ان يكونوا من المهتدين »** • (سورة التوبة الآية الثامنة عشرة) • وخاطب الله المؤمنين قائلا : **« يا أيها الذين آمنوا ، انما المشركون نجس ، فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا »** (سورة التوبة الآية ٢٨) • ولما كانت مكة المكرمة ملتقى لطرق التجارة وفيها يجتنى الناس أرباحا من معاملاتهم . فقد بدد القرآن الكريم مخاوف المسلمين من هذه الناحية قائلا لهم **« وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء • ان الله عليم حكيم »** (سورة التوبة الآية ٢٨) •

وفى المرحلة الأخيرة . منح جميع الذين كانوا يعيشون فى جزيرة العرب ممن لم يدخلوا فى الاسلام . بما فيهم المسيحيون واليهود ، خيارا بين أمرين : اما الحرب واما ان يكونوا أهل ذمة • واعرابا منهم عن قبولهم ، طالبهم أن يؤدوا رمزا الى الدولة الاسلامية هو دفع الجزية • والجزية معناها الجزاء أو التعويض، وهى فى العرف السائد ، ضريبة تفرض على الذين لم يدخلوا فى الاسلام ولكنهم يرغبون فى العيش فى حمى الدولة الاسلامية متمتعين بحرية الضمير الشخصية • وقد فسر العلماء » الجزية بأنها رمزية فى جزء منها وفى الجزء الآخر تمثل بدلا يؤدى للاعفاء من الخدمة العسكرية لأن الجزية ضريبة مفروضة

على الذكور الأصحاء وحدهم ولكن ، لما كانت الجزية متواضعة ، ولما كانت الاعفاءات الممنوحة كثيرة فقد غلبت على الجزية صفتها الرمزية • وقد أمر القرآن الكريم المسلمين قائلا : « **فقاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون** » (سورة التوبة الآية ٢٩) •

وقد تناولت التوجيهات الالهية حول موضوع الحرب، السياسة التى ينتهجها المسلمون تجاه الاعداء « المتسترين » ، اعنى المنافقين • ففى معركة احد غدر المنافقون بالمسلمين حتى كادوا يهلكونهم ، فانقسم الرأى حول الاسلوب الذى به يعاملون ، فنزل الامر الالهى : « **فما لكم فى المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا • اتريدون ان تهدوا من اضل الله • ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا** » • (سورة النساء الآية ٨٨) • وحذر القرآن الكريم المسلمين مما يضمر المنافقون بقوله : « **ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء** » • (النساء الآية ٨٩) • اما فيما يتعلق بالسياسة التى تتبع معهم ، فقد اشار القرآن الكريم بواحد من سبيلين : السبيل الأول ، هو ألا يتخذ المؤمنون من صفوف المنافقين أصدقاء وأولياء ، « حتى يهاجروا فى سبيل الله » أى أن يلتزموا بالنظام ويكفوا عن مخالفة الاوامر ، أما السبيل الثانى فهو : « **فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم** » على ما جاء فى سورة النساء الآية ٨٩ •

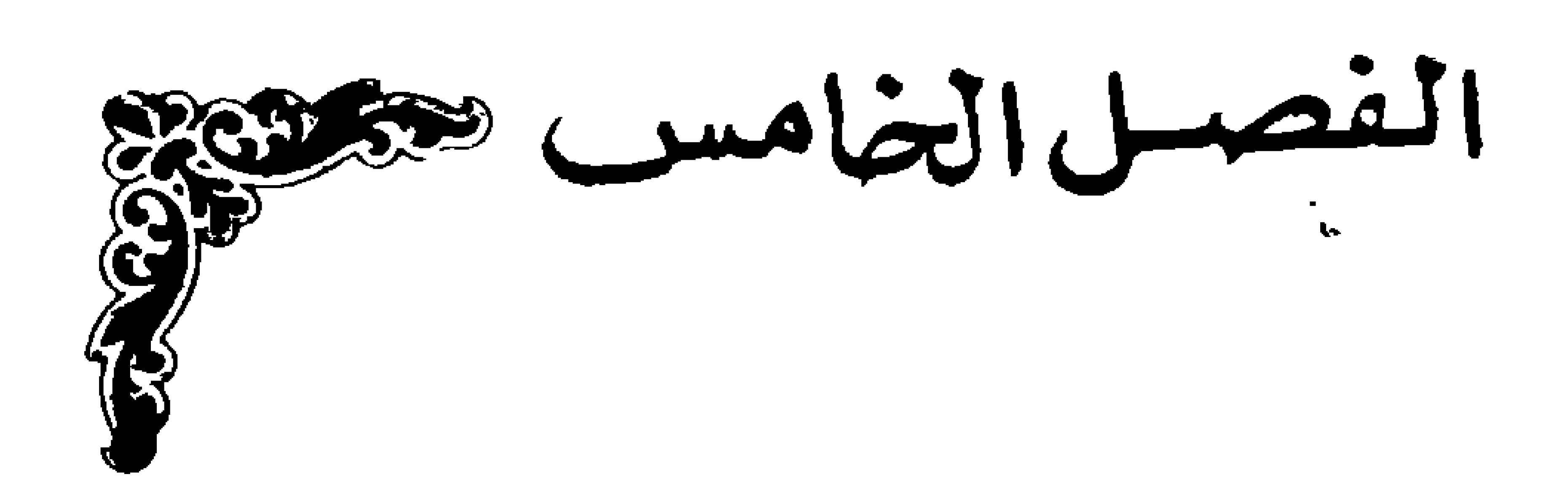
وقد ورد من هذا الحكم استثناءان يمنح أصحابهما العفو • أما الاستثناء الاول بالنسبة للمنافقين فهو خاص بـ « **الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق** » • والاستثناء الثانى خاص بالذين « **جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم** » (سورة النساء الآية ٩٠) •

وعلى النقيض من هاتين الفئتين اللتين يجوز للمسلمين العفو عنهما ، هناك فئة ثالثة اعتبرت شديدة الخطورة وتعين أن تعامل بالشدة • وقد نجحت هذه الفئة فى الاحتفاظ بثقة كل من المسلمين وأقوامهم ، ولكنها على استعداد للغدر بأيهما خدمة لأغراضها • وقد أشار القرآن الكريم بمعاملة هذه الفئة على

النحو المبين فى سورة النساء الآية ٩١ : « **فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا** » • وهذه التعليمات القرآنية تزودنا بالقاعدة التى نستطيع أن نرسم على أساسها سياسة واستراتيجية مناسبتين للتعامل مع الأعداء المستترين فى يومنا المعاصر ، وهؤلاء يتمثلون فى العناصر المعادية للدولة ، وعملاء العدو ، والمخربين ، ومروجى الدعايات والمتحزبين • فاذا استمروا فى شرهم ، عوملوا على قدم المساواة مع الأعداء المعروفين أو السافرين •

وصفوة القول ان هدف الحرب فى المنظور القرآنى هو تحقيق أوضاع السلم والعدل والايمان • ولتحقيق ذلك ، يتعين القضاء على قوى القهر والاضطهاد • وقد حرص القرآن الكريم فى المراحل الاولى لتحقيق اغراض الحرب على منح الأعداء عروضا وتنازلات سخية لانهاء حالة الحرب ، ودعاهم الى المشاركة فى اقرار أوضاع السلم والوئام • وفيما يتعلق بالمعاهدات والتحالفات ، روعى قانون المساواة ومبدأ المعاملة بالمثل • ولكن ، مع استمرار العدو فى رفض التنازلات واحدا بعد الآخر ، أصبح من المتعين اتخاذ سياسة متشددة فى التعامل معه • وقد صدر الأمر بالتحلل من الالتزامات التعاهدية مع الذين خانوا المسلمين أو غدروا بهم ، كما صدر الأمر بالوفاء الصارم بالتعاقدات المبرمة مع الذين ظلوا على ولائهم واحترامهم لها • وظلت أبواب الرحمة والغفران والعفو مفتوحة أمام الذين صدقوا فى توبتهم • وفى المراحل الأخيرة ، حظر على المشركين أن يؤدوا شعائرهم فى المسجد الحرام ، والذين لم يعتنقوا الاسلام خيروا بين دفع الجزية رمزا لاستعدادهم للخضوع أو قبول الحرب • والذين أدوا الجزية منحوا حرية العقيدة وحماية الدولة الاسلامية •





الفصل الخامس

* انى هاز لكم الراية ، فليصلح كل رجل منكم من شأنه ، وليشد على نفسه وفرسه ، انى هازها لكم الثانية ، فلينظر كل رجل منكم موقع سهمه ، وموضع عدوه ، ومكان فرصته ، ثم انى هازها لكم الثالثة وحامل ، فاحملوا على اسم الله » .

طبيعة الحرب وأبعادها



فى الفكر التقليدى أن طبيعة الحرب وشكلها يمران بحالة فى من التغير والتطور الدائمين . وفى جميع مراحل التغير والتطور التى مر بها تاريخ الحرب وفلسفتها ، أتى المفكرون العسكريون بنظريات مختلفة حول طبيعة الحرب وشكلها وأبعادها وخصائصها .

والى حوالى القرن الثامن ، لم يكن دارسو فنون الحرب يعرفون منها الا أبعادها المادية . على أنه حدث فى القرنين الأخيرين أن الذين ساقوا النظريات العسكرية والذين اشتهروا بتطبيقها قد بدأوا يدركون العوامل المعنوية والنفسية الداخلة فى التخطيط للحرب وفى ادارتها . ومع مضى الوقت ، بدأت هذه العوامل تكتسب أهمية متزايدة ، حتى أصبح العامل النفسى يعد شيئا فشيئا العامل الحاسم ، بينما تقهقرت الابعاد المادية الى وضع ثانوى الاهمية ، اذ اعتبرت هذه الابعاد فاقدة الجدوى دون تعزيز معنوى ونفسى لها .

وفى التاريخ العسكرى الأوربى ، كان « نابليون » من الرواد الذين أكدوا وأظهروا أن العامل النفسى فى الحرب يسمو على العامل المادى ، وقد جاء « كلاوزفتز » فيما بعد فاستخلص من هذا التفكير نظرية كاملة . ثم جاء « ليدل هارت » فدعا نفس الدعوة وعد هذا العنصر أهم العناصر وأشدها حسما فى الحرب . ومع ان هارت قد أشبع كلاوزفتز نقدا فى عدد من المجالات الأخرى ، فقد اعترف له بأنه هو الذى ادخل العوامل المعنوية فى الحرب ، حيث قال : « ان أعظم ما أدخله كلاوزفتز على علوم الحرب هو تأكيده للعناصر النفسية . وبعد أن رفع صوته بالاعتراض على المدرسة التى كانت

سائدة فى التفكير ، وهى مدرسة الآخذين بعلوم الرياضة والهندسة ، برهن على أن الروح البشرية أهم بدرجة كبيرة من خطوط العمليات وزواياها المرسومة ؛ •• ومنذ ذلك الحين ، اعترف للحرب النفسية بكيانها وبأنها فرع متخصص من فروع الحرب •

وقد أجريت عشرات من البحوث الأخرى فى هذا الميدان • وفى كتاب « فن الحرب على البر » الذى وضعه الكولونيل بيرنز (١) ؛ ساق تعريفات للعوامل الاربعة التى ان اجتمعت معا ضمنت كسب الحرب • وقد شبه هذه العوامل بالحبال • وفى رأى بيرنز ان هذه الحبال لايكون لها وزن نسبى الا اذا اجتمعت معا ، وهى القائد والقوات والروح المعنوية والموارد • أما قوة القائد فتقررها شخصيته ومعارفه وقدرته على التخطيط • وأما قوة الجيش والقوات فتقررها كفاءتهما الفنية وتدريبهما • أما الروح المعنوية فتشمل كل ما من شأنه ان اعطى للقوات أن تكسب الحرب • واما الموارد فقوامها الاعداد والاسلحة والمؤن والنقل • وقارن بيرنز بين هذه الحبال وبين الخيوط الدقيقة التى تتألف منها وانتهى الى ان قوة الحبل تقررها القوة الاجمالية لجميع خيوطه • وقد يكون جيش ما ضعيفا فى ناحية من النواحى ضعفا نسبيا ، ولكنه قوى فى مجموعه • والذى يهم لكسب الحرب هو القوة المجتمعة لهذه الحبال لا قوة كل حبل واحد منها •

ومع التطور الذى طرأ على موضوعات العلوم والتكنولوجيا والعلاقات الدولية ، طرأت تغييرات مماثلة على النظريات والمفاهيم الخاصة بطبيعة الحرب وأبعادها • ومما أسفرت عنه هذه التطورات نظريات جديدة مثل الحروب الوطنية ، والامة الشاكية السلاح ، والحروب المذهبية ، والحروب الاقتصادية ، والحروب المحددة ، والحروب الشاملة والعامة • والى وقت قريب ، كانت الحرب تعد الشغل الشاغل للجندى وحده • أما اليوم ، فالحرب هى مجموعة متعددة من المهام التنظيمية تتطلب تطبيق جميع

---

(١) عسكرى وباحث فى علوم الحرب •

عناصر القوة الوطنية • والواقع أن الحرب تعد أعقد وأخطر من أن يترك أمرها للجندى وحده •

وان الابعاد التى ينسبها القرآن الكريم للحرب انما تدخل فى حسابها الغرض الذى توخاه الله تعالى من خلق الانسان وارشاده الى قدره النهائى• وحرصا من القرآن الكريم على تقرير هذه الابعاد ، تعمق فى تعريف وتبيان القضايا « **الحقيقية** » الداخلة فى تخطيط الحروب وادارتها • والمنطلق الرئيسى لهذه الابعاد هو أن سبب الحرب هو القتال فى سبيل الله • واستنادا الى هذه القاعدة ، فان القرآن الكريم يأمر المسلمين بأن يشنوا الحرب بروح الواجب والالتزام الدينيين • فقد جاء فى سورة البقرة (الآية ٢١٦) : « **كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم • والله يعلم وانتم لاتعلمون** » • وهذا النص القرآنى انما يضيف جوانب واعماقا جديدة الى فكرة الحرب الشاملة ، وهى تضع على عاتق المواطن المسلم مسئولية تجاه الدولة وتجاه الله فى اتمام هذه الفريضة الدينية • وقد فرضت الحرب باعتبارها خيرا يؤديه المؤمن ويعود بالمنفعة على سائر الانسانية • وأكبر ما تنطوى عليه الحرب من خير انما يكمن فى سببها ، وهو القتال فى سبيل الله ، وغرضها • فالحرب التى تشن فى سبيل وضع حد للقهر واقرار العدل والسلم لا يمكن الا أن تكون حربا نبيلة الغرض خيرة الغاية •

ويمضى القرآن الكريم فيشيد على اساسات هذا البعد الرئيسى للحرب صرحا عاليا • فالقرآن الكريم قد وعد الذين قاتلوا فى سبيل الله بان يظفروا بعون سماوى سخى ، اذ جاء فى الاية السابعة من سورة محمد « **يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم** » • ولم يدع القرآن الكريم المؤمنين يشكون فى أهمية هذا العون السماوى وقيمته ، فجاء فى سورة آل عمران (الاية ١٦٠) : « **ان ينصركم الله فلا غالب لكم ، وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده • وعلى الله فليتوكل المؤمنون** » • ومن ناحية اخرى ،

أكد القرآن الكريم أن الذين يرفضون العقيدة لن يجدوا من يقدم لهم مساعدة أو عونا • فقد ورد فى الآيتين ٢٢ و ٢٣ من سورة الفتح : « **ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا • سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا** » •

وقد اقترنت هذه الوعود الالهية بشروط ومقاييس معينة يتعين على المسلمين أن يستوفوها حتى يكونوا حقيقين بالعون السماوى • فقد جاء فى سورة الصف (الآيتان العاشرة والحادية عشرة) : « **يا ايها الذين آمنوا ، هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم • تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون** » • وقد وعدهم القرآن الكريم فى هذه الحالة بأن « **يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم • وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين** » • (سورة الصف الآيتان الثانية عشرة والثالثة عشرة) •

ثم مضى القرآن الكريم يحصى السمات والخصائص التى تتوافر فيمن يستحق نصر الله وعونه ؛ فطالب الانسان بالخضوع التام باعتبار ذلك « ثمنا » للعون الالهى • وفى هذا خاطب القرآن النبى صلى الله عليه وسلم قائلا: « **قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين** » (سورة الأنعام الآية ١٦٢) • ومضى القرآن الكريم فى ايضاحه ، فأكد ان بركات الله انما تحل بالذين يؤمنون ويصدقون أولئك « **الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون • اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، واولئك هم المهتدون** » (سورة البقرة الآيتان ١٥٦ و ١٥٧) • وفى مناسبة تالية ، اجرى خالق الكون صفقة مع المؤمن فصلتها سورة التوبة (الآية ١١١) فى هذه العبارات البليغة : « **ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم** » •

على أن القرآن الكريم قد أوضح للمؤمنين أن العون السماوى الموعودين به ليس بحق لهم ولا هو باجراء عادى رتيب الا أن يرتفعوا الى المستويات المطلوبة لاستحقاقه ، ويستوفوا الخصائص المقررة لكى يظفروا به فان أخفقوا فى ذلك ضيعوا العون الالهى الموعود ، وتعرضوا فوق ذلك لغضب الله • وقد جاء فى سورة التوبة (الآيتان ٣٨ و ٣٩) : **« يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذ قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل • الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا • والله على كل شىء قدير »** وفى موضع آخر من نفس السورة (الآية ٢٤) وجه القرآن الكريم تحذيرا الى المؤمنين الذين تخلفوا عن اظهار أعلى مستويات الولاء والتضحية فى الخدمات التى يؤدونها فى سبيل الله ، فقال : **« قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره • والله لايهدى القوم الفاسقين »** • وحول هذا الموضوع عينه : جاء فى سورة البقرة (الآية ٢١٤) قول الله تعالى **« أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله »** •

وهكذا يتبين بجلاء ودونما جدال حكم الله فى موضوع العون السماوى الذى يبذل للمؤمنين • فالله لم يقصر نعمه وخيراته على أى جماعة من الناس بوصفها هذا : ويخطىء المسلمون خطأ جسيما اذا عدوا نصر الله أمرا مسلما به ولم يؤهلوا أنفسهم ليكونوا مستحقين له • والله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وبقلوبهم ، وهو تعالى لا يساعد الا الذين يساعدون أنفسهم ، ولا يسبغ مجده الا على الذين يستحقونه بصدق • وقد توهم الاسرائيليون قبل مجىء الاسلام أنهم شعب الله المختار ، غخاب ظنهم ، ثم جاء نسلهم فتعلم هذا الدرس ، ولم يعد يكرر هذا الخطأ عينه •

فيتعين علينا اذن ألا نكون فى ريبة من أننا لا نستحق الا ما نكسبه ونجتهد فى تحصيله • فلا يسعنا ان نحصد الا ما زرعناه • فان اعيانا ان نستوفى هذه المطالب الالهيه ، عرضنا أنفسنا لا لفقد العون الالهى وحده ، بل لعلنا نستحق ــ بدلا من ذلك ــ غضب الله • وقد تحدث القرآن الكريم الى المسلمين فى صدد واقعه احد فقال : **« وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين • أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين »** (سورة آل عمران الآيتان ١٤١ و ١٤٢) •

والقتال من شأنه أن يعرض الأرواح والأملاك للخطر . وأن يسفر عن جوع وعطش واجهاد واصابة وموت ودمار وتخريب • وقد أدرك القرآن الكريم هذه الشرور الناجمة عن الحرب وعالجها بأسلوب منطقى علمى • وفى هذا الصدد قدم القرآن الكريم الى الانسانية فلسفة متميزة خاصة بالحياة والموت والجزاء والعقاب • فقد جاء فى سورة البقرة (الآية ٢٨) : **« كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ، ثم يميتكم ، ثم يحييكم ، ثم اليه ترجعون »** • ومن مؤدى هذا النص ان الموت ليس منه مفر فى هذه الحياة، ولكن الموت ليس هو النهاية • فهناك حياة أخرى تنتظرنا فى **« الآخرة »** وسنرجع فى آخر الأمر اليه تعالى ؛ وفى نطاق هذا الفهم . وجه القرآن الكريم الى المؤمنين دعوة الى القتال فى سبيل الله بمنتهى التفانى ، فلا يفكرون فى الفرار من ساحة القتال خشية الموت • وقد جاء فى الآية ١٦ من سورة الأحزاب **« قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لا تمتعون الا قليلا »** كما أن القرآن الكريم يقرر أن الموت له أجل مضروب ، ولا يسع أحدا أن يطيل عمره لحظة واحدة • فقد جاء فى سورة آل عمران (الآية ١٥٦) : **« يا أيها الذين آمنوا ، لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا فى الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم ، والله يحيى ويميت ، والله بما تعملون بصير »** •

أما وقد أعلن القرآن الكريم الحكم الالهى عن حتمية الموت ، وعن وجود

حيـاة بعـد الموت فقد ساق حكمه بشـأن الذين يمـوتون وهم يقاتلون فى سـبيل الله . فقال فى سورة آل عمران (الآية ١٥٧) : **« ولئن قتلتم فى سـبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون »** ويمضى كتاب الله فيقول فى الآيتين ١٦٩ و ١٧٠ من نفس السورة : **« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سـبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله »** وقـد حدثنـا القرآن الكريم فى مواضـع أخرى بأن الذين فقـدوا حياتهم فى القتال فى سبيل اللـه هم أحيـاء « ولكن لا تشعرون » ــ كما جاء فى سورة البقـرة الآية ١٥٤ • وتتويجا لهـذه التضحية أكد القرآن الكريم للمؤمنين بأنهم ولـو قتلوا أو أزهقت أرواحهم فهم الى اللـه يرجعـون فى نهاية الأمر •

وبماذا وعد الله العلى العظيم أولئك الذين يطيعون أوامره تعالى بشـأن الحرب . وأى جزاء لهم ؟ فى هذا يقول القرآن الكريم فى سـورة البقـرة (الآية ٢١٨) : **« ان الذين آمنوا والـذين هاجروا وجاهدوا فى سـبيل الله أولئك يرجـون رحمة الله واللـه غفور رحيم »** • كمـا جاء فى الأمـر الالهى **« ولا تظلمون فتيلا »** (سـورة النسـاء الآيـة ٧٧) • ومناط الأمر فى هـذه القضية هو أن الله يجزى العمل الطيب ويعاقب على كل عمل شرير • فقد وعـد اللـه تعالى فى سـورة آل عمران (الآية ١٧١) بقوله : **« وان اللـه لا يضيع أجر المؤمنين »** • كما قال القرآن الكريم فى سـورة النسـاء (الآيـة ٧٤) : **« فليقاتل فى سبيل الله الذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة • ومن يقاتل فى سـبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما »** • كما وعد القـرآن الكريم فى سورة الحج (الآية ٥٨) بقوله : **« والذين هاجروا فى سـبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا • وان الله لهو خير الرازقين »** •

ويتفاوت جزاء الله بتفاوت ما يقدمه المؤمنون • فقـد جاء فى سـورة النساء (الآيتان ٩٥ و ٩٦) : **« لا يسـتوى القاعدون من المؤمنين غـير اولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسـهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهـدين**

على القاعدين أجرا عظيما • درجات منه ومغفرة ورحمة ، وكان الله غفـــورا رحيمـــا » • ومن ناحية أخرى حذر القرآن الكريم الذين ينفرون من الحـــرب والجهاد فى سبيل الله وينعمون بالكســل ويهربون بجلدهم من مخاطر الحــرب بقوله ان **« نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون »** كما جاء فى سورة التوبة الآيــة ٨١ • واستطرد القرآن الكريم فقال فى الآية التالية : **« فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون »** ويصدر القرآن الكريم حكمه عليهم فى الآيتين ٨٣ و ٨٤ من نفس السورة بقوله : **« فأن رجعك الله الى طائفة منهم فأستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا انكم رضيتم بالقعــود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين • ولاتصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم عــلى قبره • انهم كفروا بالله ورسوله ، وماتوا وهم فاسقون »** •

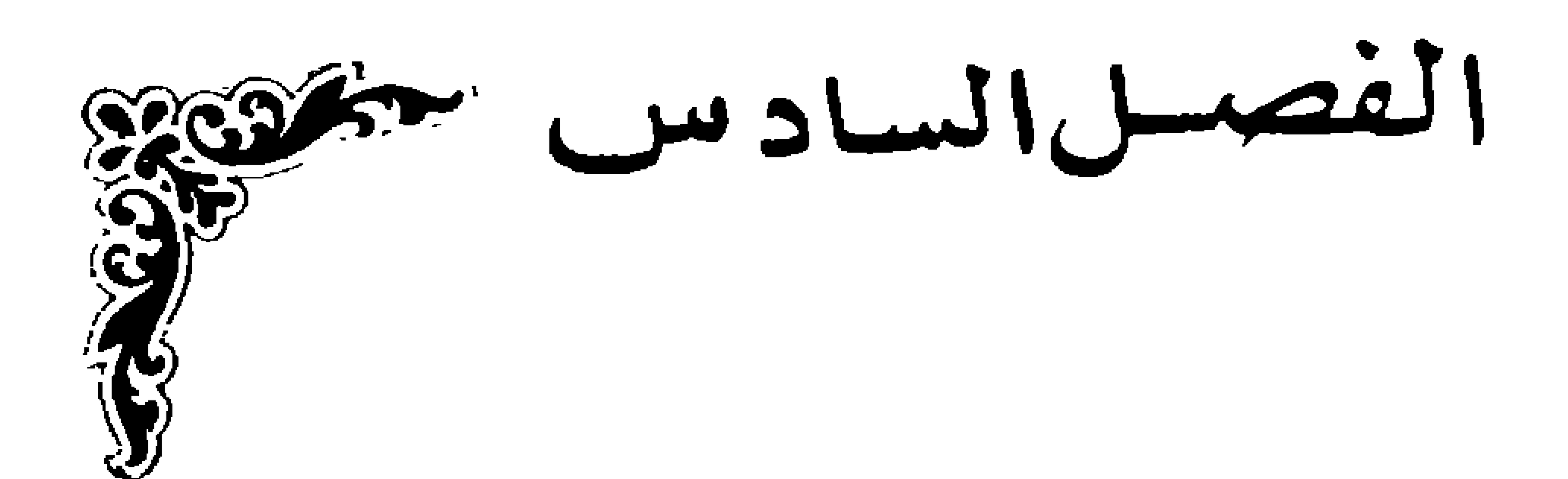
وصفوة القول أن العبرة القرآنية فى أبعاد الحرب ، هى أن الحرب انمــا تشن فى سبيل الله ولغرض اقرار العدل والسلام • وقد وعد القـــرآن الذين يقاتلون فى ســبيل هــذه القضية الالهية السامية بأن ينالوا نصرا من عند الله عزيزا • أما الدليل على القتال فى سبيل الله فهــو أن المؤمن يطيع أمر اللـــه طاعة كاملة • والذين يعصون أمر الله ، ولا يخضعون لمشيئته المطلقة ، فهــؤلاء يعرضون أنفسهم لغضب السماء •

والحرب تتعرض فيها الحياة والممتلكات للمخاطر ، وهو أمر يتعين قبــوله برغبة وسرور • فالموت فى هذه الدنيا مكتوب على الرقاب ، ولكن الحيـــاة فى الأخرى أمر مؤكد • والذين يقاتلون فى سبيل الله جزاؤهم مؤكد ومأمون وعظيم • ويتفاوت جزاؤنا بتفاوت أدائنا ، أما الذين يموتون فى سبيل الله فهم أحيـــاء خالدون •

وقد وضع القرآن الكريم أبعادا للحـــرب ذات طابع خاص لفائدة المؤمنين الذين يخوضون الحرب • ومن شأن هذه الابعاد ان تكسب المؤمنين شـــخصية لهــا من القــوة والقدرة على الاحتمال ما يمكنها من مجابهة أى طـــارىء فى الحرب • ولا ريب فى ان هـــذه الابعاد القرآنية قد مســخت الأبعاد النفسية

والمعنوية للحرب التى اكتشفها العقل البشرى بعدما ضرب طويلا فى بيداء التفكير •
فقد اسبغت هذه الابعاد القرآنية على الجيوش الاسلامية حماية تامة شاملة ومناعة قوية ضد أى حملات نفسية أو معنوية يشنها العدو عليها •
كما انها هيأت للمسلمين قاعدة ثابتة دائمة لشن حملات نفسية ومعنوية فعالة ضد أعدائهم الألداء ، ومكنتهم من أن يتحملوا آلام الحرب راضين صابرين • أما الدراية بفنون الحرب وأساليبها ، فقد جاءت فى المقام الثانى بعد أن تسلح المؤمنون بهذه الروح وذلك التفانى • أما وقد تذرعوا بالحكمة والتفانى ، فقد برهنوا على أنهم أكثر تفوقا وأصلب عودا من الخبرة « الفارغة » للأعداء • فاستطاعوا بفضل ذلك ان يقهروا الخوف من الموت وان يصبحوا خالدين مستعصين على الهزيمة •

ويقول برنارد برودى « ان الذين كتبوا عن الاستراتيجية ، والذين مارسوها بكل تأكيد ، كادوا يطرحون من اهتمامهم الواعى ما للحرب من خصائص تبدو للشخص العادى ابرز الخصائص واظهرها • والفصول التى تكتب عن الاستراتيجية قل ان يشم المرء فى ساحات قتالها رائحة الموت • فالاسلحة تصدر عنها النيران . ولكن لا يذكر شىء عن الطنين الذى يصم الآذان أو الضجيج الذى تحدثه • ثم ان الرجال فى حلبة القتال وفى طوابير الزحف يستشعرون نشوة الانتصار ، وأحيانا الذعر ، ولكن قلما يصف الكتاب ما يعانونه من آلام وبرد وعرق واجهاد وبؤس مقيم • أما الفلسفة القرآنية ، فهى تقدم جوابا على الأسئلة التى تحير العقل البشرى • فهى تعترف بما فى الحرب من عناء بدنى ونفسى ، وتقدم الترياق الشافى منه • وما دامت نظريات الحرب فى القرآن تتضمن عناصر الايمان والثقة فجزاؤها اكبر بكثير من القليل الذى نقدمه للحرب •



الفصل السادس

* « انتهزوا الفرصة ، فانها تمــر مــر السحاب ، ولا تطلبوا اثرا بعد عين » .

علی بن أبی طالب رضی الله عنه



الفلسفة القرآنية للحرب هى فى أحسن أحوالها فلسفة للضوابط التى تكبح استخدام « القوة » فى العلاقات بين الدول . وقد تضمن الأمر القرآنى الصادر الى المسلمين بأن يقاتلوا المشركين نهيا عن تجاوز الحدود ، حيث جاء فى الآية ١٩٠ من سورة البقرة : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلوكم ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين » .

وقد فرضت قيود الهية على الحرب فى جميع المراحل التى نزلت فيها الآيات القرآنية . وفى السنوات الاثنتى عشرة الأولى ، طلب من المسلمين ان يصبروا على الفظائع التى كانت قريش تقترفها معهم ، وأن يكفوا ايديهم عن القتال . ولما صدر الأمر اليهم بالقتال ، حددت فيه الأسباب الداعية الى خوض الحرب كما أوضح القرآن بما لايحتمل اللبس الغرض من الحرب .

والمبدأ الرئيسى الذى توخاه القرآن الكريم فى ايراد أسباب الحرب وغرضها هو ان الحرب مقصود منها صون السلم والعدل واشاعتهما . وفى المراحل الاولى لتحقيق غرض الحرب ، منح العدو فرصا مفتوحة لانهاء الحرب واقرار السلام . وخلافا لجميع القواعد والممارسات المألوفة ، حظر على أى مسلم ان يسلب حياة أى شخص كان الا لأسباب تتعلق بالعدل والقانون . وكل مخالف لهذا الأمر ، يحاسب على تصرفه ويعاقب عليه . وفى آخر المطاف تركت أبواب الرحمة والغفران والعطف مفتوحة على الدوام لكل من يصدق فى توبته .

وكان ثمة تقليد قديم فيجزيرة العرب يحظر الحرب فى الأشهر الحرم ، وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب وقد تضمن القرآن الكريم توجيهات بضرورة احترام هذا العرف • فقد جاء فى الآية ١٩٤ من سورة البقرة : **« الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص • فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين »** • كما أن القرآن الكريم أمر المسلمين بأن يحترموا ما جرى عليه العرب من التزام الهدنة عند المسجد الحرام على أساس المعاملة بالمثل • فقد جاء فى الآية ١٩١ من سورة البقرة : **« ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه »** وهذا هو الأمر الالهى فى هذا المقام • ولا ريب فى ان المسلمين قد أذن لهم فى هاتين المسألتين بأن يتبعوا قانون المساواة والمعاملة بالمثل ، ومع ذلك فقد نصحوا بابداء ضبط النفس والتروى • وقوله تعالى **« ان الله لا يحب المعتدين »** فيه تأكيد على التسامح والصبر والاحتمال •

ولم يكتف القرآن الكريم بهذه القيود وحدها ، بل فرض حظرا كاملا على اللجوء الى الأساليب غير الانسانية التى كانت تتبع فى الحرب فى جزيرة العرب وسواها قبل الاسلام • واستنادا الى ما أصدره النبى الكريم هو والخلفاء الأوائل من توجيهات فى هذا الصدد ، قام المشرعون المسلمون باجراء عدة دراسات لتحديد الأعمال التى يحظر على الجيوش الاسلامية اقترافها فى الحروب • ويقول الدكتور حميد الله ان جميع الأساليب الوحشية واساليب التعذيب التى يقتل بها العدو محظورة • كذلك لا يسمح بقتل النساء والقصر والخدم والعبيد الذين قد يكونون فى صحبة سيدهم أثناء الحرب دون ان يشتركوا فى القتال فعلا • كما يتعين على الجيوش الاسلامية ان تبقى على ارواح العمى والرهبان والنساك والعجزة والمشوهين والمصابين بلوثة أو خلل عقلى • ومن المحظور أيضا تعجيز أسرى الحرب ، والتمثيل بالانسان والحيوان ، والغدر ونكث العهد ، واتلاف المحاصيل وتدميرها ، وجميع اعمال التطرف ، والخبائث ، والزنا ، والعهر مع المأسورات ، وقتل الرهائن من العدو ، واللجوء الى اقامة المذابح لدحر العدو • ولا يقتل الآباء الا فى حالات الدفاع المطلق عن

النفس ، كما لايسمح بقتل الفلاحين والتجار وأصحاب الحرف وأمثالهم من الذين لايشتركون فى القتال اشتراكا فعليا •

وهناك توجيه الهى واضح محدد بالنسبة لمعاملة أسرى الحرب • فقد جاء فى الآية الرابعة من سورة محمد : « **فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء** » • وبناء على هذه التوجيه الالهى ؛ يتعين على المسلمين أولا ان يوجهوا عنايتهم الأولى فى الحرب الى اخضاع العدو دون اسره • وعليهم ثانيا ألا يأخذوا أسرى الا بعد اخضاع العدو اخضاعا كاملا • وعليهم ثالثا أن يحسنوا معاملة الأسرى بالأسلوب الانسانى متى صاروا فى أيديهم ؛ وهناك خيار بين أمرين لاثالث لهما ؛ فاما المن والعفو ؛ واما اخذ الفدية • وفى غزوة حنين أسر المسلمون عددا كبيرا من الأسرى ؛ ولكنهم جميعا أعيدوا الى ديارهم بعد أداء الفدية • وكان بعض الأسرى أفقر من أن يستطيعوا دفع الفدية فأداها الرسول صلوات الله عليه عنهم •

والقيود والضوابط التى أنزلت فى القرآن الكريم منذ القرن السابع الميلادى تؤكد ان الحرب انما اريدت لغرض محدد تؤديه بكل سياستها واستراتيجيتها • وهى تؤكد أيضا أن آلة الحرب متى انطلقت لم تعد بلا ضابط • وما من فلسفة يمكن ان تماثل التوجيهات القرآنية الخاصة بالمشكلة الانسانية التى تنطوى عليها الحرب • وهذه التوجيهات فيها الرد الحاسم على النظريات التى يقول بها الطاعنون فى نظريات القرآن طعناً خبيثا غير مسئول • فالعفو العام الذى أعلنه الرسول صلوات الله عليه عند عودته المظفرة الى مكة المكرمة بوصفه الحاكم الدينى والزمنى الذى لا ينازعه أحد فى جزيرة العرب ، انما هو نموذج مشرق للخصائص القرآنية الخاصة بالتروى وضبط النفس فى الحرب • ولو نظرنا الى فكرة الحرب فى الاسلام فى ضوء ما اقترفه الفاتحون العظماء فى العالم من فظائع وسفك دم مازال التاريخ الانسانى يضج منها ؛ لتبين لنا ان هذه الفكرة سامية من حيث محتواها الانسانى والاخلاقى •

وثمة اتهام عام يوجهه النقاد الى الاسلام ، وهو أنه قد انتشر بحد السيف ، وهو اتهام ينفيه المسلمون نفيا باتا • وواقع الأمر أن الضوابط والقيود التى فرضها القرآن الكريم على استخدام القوة ليس لها مثيل • وقد حدث فى التطبيق أن المسلمين فى حالات فردية قليلة تجاوزوا الحدود التى رسمها القرآن الكريم ، فلم يقرهم عليها الرسول صلوات الله عليه • على أنه ينبغى أن يستقر فى الاذهان أن ممارسة ضبط النفس فى الحرب هى أمر ذو وجهين • فليس مقبولا أن يمضى طرف فى ضبط النفس بينما الطرف الآخر يواصل اقتراف تجاوزاته • وفى مثل هذه الحال يتعين بحكم التوجيه نفسه الذى يحض على صون السلم واقراره هو والعدالة ، ان تستخدم القوة فى نطاق محدود • فمن الخطيئة الامتناع عن استخدام القوة فى مثل هذه الظروف ؛ ولغرض كهذا سمح القرآن الكريم باستخدام « السيف » • وبدلا من أن يلتمس المسلم الاسباب والمعاذير بالنسبة لهذه الواقعة ، فان له ان يفخر بأن السيف اذا استخدم فى هذه الحال ، فانما يراد به اخضاع قوى البطش والقهر ونشر السلام والعدالة بين الناس • ومتى استتبت الأوضاع ، عاد السيف الى قرابه •

ترى ، ما هو موقف المجتمعات والحضارات الأخرى ازاء هذه المشكلة ؟ لو رجعنا الى ما قبل العصر المسيحى لوجدنا فى التاريخ العسكرى المسطور معلومات شافية عن مسلك الشعوب والمجتمعات تجاه المشكلات الانسانية التى تنطوى عليها الحرب • ففى هذه الفترة ، كانت الحرب تدور بين القبائل والشعوب والبلاد ، وكان المنتصرون يعاملون المدحورين بوصفهم جزءا من غنائم الحرب • والى العصور الوسطى ، لم تكن للحرب نواميس أدبية أو اخلاقية تتعلق بمعاملة الأسرى والجرحى • ولم تستأثر هذه المشكلة باهتمام جدى فى أوربا الا فى القرن الثامن عشر بعد حروب نابليون • ففى بادىء الأمر ، كانت بعض الدول تتخذ اجراءات انسانية فردية ، ولكن لم تتقنن هذه الاجراءات الا فيما بعد استنادا الى العرف والى المعاهدات التى أبرمت فى الفترة بين عامى ١٨١٥ و ١٩١٤ •

مؤتمر جنيف لأول مرة فى عام ١٨٦٤ بفضل همة جان هنرى دونانت ــ وهـــو مواطن سويسرى من جنيف ــ ولكن الاتفاق الذى أسفر عنه المؤتمر أصبح اليوم يتمتع بقبول عام على النطاق الدولى • والمبادىء الأساسية الثلاثة فى هـــذا الاتفاق هى الانسانية والتضامن والشمول • وينص الاتفاق على حقوق المرضى والجرحى والمدنيين غير المسلحين ، كما يتناول المسائل الانسانية الاخـــرى بما فى ذلك موضوع اسرى الحرب • وبالرغم من وجـــود اتفاقية جنيف ، فلـــم تجد المانيا ما يردعها عن شن حرب كيميائية على الحلفاء فى معـــركة ابريس فى الحرب العالمية الأولى • وفى السنوات الأخيرة للحرب العالميـــة الثانية اخضـــع الحلفاء المانيـــا لعمليات تدمير بالقنابل من الجـــولا نهاية لهـــا ، فقتلوا الملايين من الأبرياء من الأطفال والنساء ودمروا أهدافا غير عسكرية • ثم كان الهجــــوم النووى على هيروشيما ونجازاكى فحطم جميع الأرقام القياسية الســـــابقة فى المذابح الوحشية والقتل بلا رحمة •

وفى الاسلام ، تشن الحـــرب فى سبيل اللـــه • والغرض الذى يحـــارب المسلم من أجله هو غرض عادل نبيل وانسانى • والنصر فى الاســـــلام هـــــو انتصـــار قضية الاســـلام • ومثل هـــذه القضية الانسانية النبيلة لا ينبغى ان يسمح بتحقيقها بأساليب تفتقر الى الانسانية والكرامة • فالانسانية اذن هـــى القلب واللب فى أى حرب يقدم عليها الاسلام •



الفصل السابع

* « الشجاعة وقاية والجبن مقتلة ، أن من يقتل مدبرا أكثر ممن يقتل مقبلا »



أن نهم بدراســـة الفكرة الاستراتيجية فى القــرآن الكــريم يعنينا من الناحية الجوهرية ان نجرى تحليلا لتطور هـــذه الفكرة لكى يتسنى لنا أن نلم بالمراحل التى مر بهـــا التفكير الانسانى حول هذا الموضوع . وقد كتب هارى ل . نكولز [1] فصلا عن تطور التفكير الاستراتيجى أعرب فيه عن الرأى القائل بأن تاريخ الانسانية يمكن تقسيمه الى مجموعتين زمنيتين :

مجموعة خاصة بالفترة السابقة على عام ١٩٤٥ ، وفيها كانت الاستراتيجية تعانى من نقص التفكير ، ومجموعة خاصة بالفترة التالية لعام ١٩٤٥ ، وفيها عانت الاستراتيجية من فرط التفكير ، وهى العلة المضادة لها . وقد بلـــغ التفكير الاستراتيجى فى الفترة السابقة على ١٩٤٥ ذروته باكتشاف ان قرار الحـــرب انما ينبغى التماسه فى الابعاد النفسية للحرب . ومع مجىء القنبلة النووية فى الفترة التالية لعام ١٩٤٥ ، أصبحت نظرية الاستراتيجية ــ بعد مرورها بعدة مراحل متطورة ، نظرية تغلب عليها فكرة « الردع » .

وفى القرن التاسع عشر عرف كلاوزفتز الاستراتيجية بأنها « فن استخدام المعركة لكسب هدف الحرب » وهى فكرة ذهب الى اقرارها كعقيدة دينية كل من مولتكه [2] وشليفن [3] وفوش [4] ولود ندورف [5] الذين ينحصر لب نظريتهم فى

---

(١) باحث فى الاستراتيجية والعسكرية .

(٢) مارشال بروسى عرف بخططه الاستراتيجية المرنة . الف عدة كتب فى الخطط الحربية أهمها كتاب « الحرب الفرنسية البروسية » .

(٣) قائد المانى وضع خطة عسكرية عرفت باسمه .

(٤) مارشال فرنسى شارك فى الحـــرب العالمية الاولى وكان له دور اساسى فى كسب الحرب .

(٥) قائد المانى كبير اشترك فى الحرب العالمية الاولى فسجل انتصارات باهرة وساعد هتلر على تولى مستشارية المانيا وزعامتها ــ من دعاة الارية

أن جميع الاعتبارات الأخرى في الحرب ينبغي ان تكون ثانوية بالنسبة للاعتبار الاصلي وهو القتال في معركة حاسمة . وبعد ذلك بقرن جاء ليدل هارت فطعن في نظرية كلاوزفتز من ناحيتين . اما المطعن الاول فهو ان استراتيجية كلاوزفتز تتدخل في مجال السياسة . وأما مطعنه الثاني فهو ان نظريته قد قصرت اساليب الاستراتيجية على استخدامها في المعركة خالصة مطلقة .

واعترض ليدل هارت على سياسة التوسع الدموية التي تنادي بها النظرية الكلاوزفتزية قائلا بنظرية « الانتصارات غير الدموية » وواصفا اياها بانها « الاستراتيجية الكاملة » وساق ليدل هارت امثلة على الاستراتيجية الكاملة منها حملة ايلارادا لقيصر [1] ، وحملة برستن لكرومويل [2] ، وحملة أولم لنابليون [3] ، ومعركة مولتكه في سيدان [4] في عام ١٨٧٠ ، وحملة اللنبي في فلسطين في عام ١٩١٨ ، وهزيمة الالمان لفرنسا في عام ١٩٤٠ . وبنص كلام ليدل هارت« **الاستراتيجية هي فن توزيع الوسائل العسكرية واستخدامها لكسب أهداف السياسة** » واحتج قائلا ان هدف الاستراتيجية هو خلق موقف استراتيجي موات بحيث لا يسفر في حد ذاته عن اتخاذ القرار ، ومن المؤكد ان استمرار هذا الموقف عن طريق المعركة من شأنه أن يحقق هذا القرار « فالغاية الأولى لاستراتيجية ليدل هارت هي بلبلة العدو نفسيا بحيث يسفر ذلك عن قرار مباشر . فان تعذر تحقيق ذلك ، وجب — في رأى ليدل هارت — احداث بلبلة سابقة على المعركة ، اما من الناحية المادية أو الناحية الادارية في الميدان وذلك بقصد خفض ابعاد القتال الى أقل ما يمكن » .

---

(١) حملة ايلارادا حقق فيهسا يوليوس قيصر انتصارا تاريخيا على اعدائه .

(٢) اوليفر كرمويل اقام الجمهورية في انجلترا سنة ١٦٥٤ وخاض حروبا مع رجاله في البيورتيان واستطاع ان يهزم الملك شارل الاول البريطاني كما صد زحف الاسكتلنديين الناصرين للملك في معركة برستن .

(٣) في عام ١٨٠٥ استسلمت القوات النمسوية بقيادة الجنرال «ماك» امام نابليون الاول في معركة « اولم » التي حقق فيها انتصارا باهرا .

(٤) سيدان مدينة حصينة بالقرب من الحدود البلجيكية الفرنسية حقق فيها مولتكه انتصارا كبيرا .

ويترتب على ذلك أن لب نظرية ليدل هارت الاستراتيجية انما يكمن فى البلبلة التى يستطاع احداثها أما فى الناحية المادية أو فى الناحية الادارية للميدان أو فى الناحية النفسية • ومضى ليدل هارت يشرح لنا هذه النظرية بقوله ان البلبلة فى الناحية المادية يمكن احداثها بارباك العدو فى استعداداته ، والحاق اضطراب بتوزيع قواته وتنظيمها ، وتعريض خطوطة الخلفية للخطـــر ، وقطع خطــــوط مواصلاته • اما المجال النفسى فهو النتيجة الطبيعية لما يلحق بالعــدو من آثـــار مـــادية •

وقد اتفق الجنرال الفرنسى الاستراتيجى المشهور « بوفر » مـــع ليــدل هارت فى نظريته الخاصة ببلبلة العدو النفسية ، ولكنه اختلف معه فى التعريف الذى وضعه • ففى رأى بوفر ان التعريف الذى أتى به ليدل هارت « لا يكـــاد يختلف عن تعريف كلاوزفتر » • ويرى بوفر ان الاستراتيجية هى تفاعل تجريدى للقوى الناشئة عن تصادم الارادات المتعارضة • ومنطقه فى موضوع الارادات هو أن « القرار يتخذ عند احداث تأثير نفسى معين فى العدو » ويسترشد بوفـــر فى منطقة الخاص بالارادات المتعارضة بمبدأ أن « الظفر بالقرار عـــن طـــريق خلق موقف ما ، واستغلال هذا الموقف لاحداث قدر من الانهيار المعنوى لدى العدو كاف لحمله على قبول الوضع الذى أريد فرضه عليه » •

وفى رأى الاميرال ايكلز (١) ان الفهم الصحيح للاستراتيجية ضرورى ، لأن الاستراتيجية هى القلب واللب للمشكلة العسكرية ، وقد قام ببحث مســــتقص للاهتداء فى المؤلفات الاستراتيجية عن أسباب التآلف والتجانس فى الرأى ، لا الى أسباب التنوع والخلاف فى اللغة المستعملة ، وقد عثر على هذه الضالة فى آراء ليدل هارت (التى سبق عرضها) وآراء هربرت روسنكى (٢) • ويصفـروسنكى الاستراتيجية بأنها « **التوجيه الشامل للقوة** » ثم يضيـــــف قوله إن تطبيق الاستراتيجية ليس مجرد توجيه وأمر ، بل لابد من مراعاة التحركات المضادة

---

(١) قائد بحرى له اهتمام بالعلوم الاستراتيجية والعسكرية •
(٢) معلق عسكرى •

أيضا • ومن هنا أصبحت الاستراتيجية وسيلة للسيطرة ، وهذا هو جوهرها الصحيح فى عرف روسنكى • وقد أضاف الاميرال ايكلز الى تعريف روسنكى عبارات أصبحت الاستراتيجية تعنى معها « **فن التوجيه الشامل للقوة بقصد السيطرة على مواقف ومناطق وتحقيق أهداف** »فالاستراتيجية معنية اساسا بالسيطرة لتحقيق نتيجة معينة • وتوسع الاميرال فى شرح معنى السيطرة ، فقال ان الاستراتيجية تعنى بما تسيطر عليه كما تعنى بفرض السيطرة وطبيعتها ودرجتها وأسلوبها ونظامها • ويعترف ايكلز — شأنه فى هذا شأن بوفر — بأن القوة هى مجرد وسيلة من الوسائل التى بها تتحقق السيطرة •

ومع اختراع الاسلحة الذرية ظهرت فى الفترة بين عامى ١٩٤٥ و ١٩٥٥ طبقة من علماء الاستراتيجية ذهبت الى ان القنبلة النووية هى السلاح « **المطلق** » فى الحرب • ومن هنا جاءت بنظرية استراتيجية ميزان الرعب التى شبهت « بعقربين فى زجاجة » ، وهو تشبيه أتى به روبرت أو بنهايمر (١) • ومع ادخال تطورات جديدة على القنابل النووية ، وتزايد ادراك آثارها ، خرج علينا دالاس بنظريته الخاصة بالانتقام الذرى الشامل ، وهى التى قال بها فى عام ١٩٥٤، فرد عليه مكنمارا ردا مرنا • وتلت ذلك مدارس أخرى فى التفكير حلقت اراؤها حول الردع التدريجى ، والقدرة على توجيه الضربة الثانية •

وفى عام ١٩٥٩ استنكر البرت وهلستتر نظرية « **ميزان الرعب** » وأدار فلسفته حول فكرة ان القوة الرادعة لا يكون لها وجود الا اذا كانت قادرة على الانتقام • وقد وضع ستة شروط خاصة بالضربة الثانية والقدرة على انزالها ؛ وقال ان الولايات المتحدة لم تكن تملك فى ذلك الوقت ايا من هذه الشروط • وقد اعتنق الدكتور هنرى كسينجر فى كتابه المشهور « **ضرورة الاختيار** » مذهبا جديدا ، هو مذهب الحروب المحدودة ، ثم اتى بعنصر القدرة على الردع • فقد كتب يقول ان الردع يحتاج الى مزيج من القوة ومن ارادة استخدامها ومن

---

(١) من علماء الذرة الذين ساهموا فى كشف اسرار القنبلة الذرية •

تقدير هذه الاعتبارات بمعرفة عدو مهاجم محتمل » • ومنــذ عام ١٩٦٠ غلبت فكرة الردع على مجال الاستراتيجية على نحو أو آخر • وقد وصف الردع وصفا متفاوتا ، بأنه ايجابى وسلبى ، وهجومى ودفاعى ، مباشر وغير مباشر ، ونسبى وكامل أو مطلق ، محدود وعام ، قوة مضادة ومدينة مضادة وهكذا •

والآن ، فلنحاول دراسة فكرة الاستراتيجية فى القرآن • والخطوة الاولى فى هــذه الدراسة هى معرفة الفــرق بين الاستراتيجية الشــاملة ، أى الجهاد ، والاستراتيجية العسكرية • وكثــــيرا ما يحدث خلط بين معنى الجهـــاد ، والاستراتيجية العسكرية ، والواقع أن الجهاد يكاد يقرب من معنى الاستراتيجية الكاملة أو العظمى أو معنى السياســة فى التنفيـــذ • فالجهــاد من مــؤداه توجيه « القوة » توجيها شاملا واستخدامها استخداما شــاملا ، بينمــا الاستراتيجية تقتصر على التأهب لاستخدام « القوة » • والجهــاد صراع مستمر لا نهــاية له ، وهــو يشن على جميع الجبهــات بمــا فى ذلك الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية والمحلية والمعنوية والروحية وذلك لتحقيــق هدف السياســة • وغاية الجهاد تحقيــق الرســالة الشــاملة المعهــود بها الى الدولة الاســلامية ، وما الاستراتيجية العسكرية الا احــدى الوسائل المتاحــة لتحقيق ذلك • ويكون الجهاد عــلى المســتوى الفردى وعلى المستوى الجماعى ، كما يكون داخليا وخارجيا •

والفكرة الاســــلامية للاستراتيجية الشاملة ، اذ تطبق بروحها الصحيحة وبالوســائل المتعددة المتاحة لها ، قادرة على الاتيان بنتائج مباشرة • عـــلى ان لها بديلا لهذا الأســــلوب ، وهـــو انهــا تنشىء أوضـــاعا تــؤدى الى الاستراتيجية العسكرية تحقيقا لهدفها بسرعة واقتصاد • فالاســــــتراتيجية العسكرية اذن تعتمد اعتمادا كبيرا على الاستراتيجية الكاملة (أى الجهــاد) لتطبيقها تطبيقا ناجحا • وأى ضعف أو قـــوة فى تكوين الاستراتيجية الكاملـــة أو توجيهها أو تطبيقها من شأنه أن يؤثر فى الاستراتيجية العســـكرية بنفس المقدار • وحيث ينتفى الجهــاد ، يصبح الاستعداد لاستخدام « القـــوة »

وتطبيقها تحقيقا للمصالح القصوى استثناء لا قاعــدة . والعكس صحيح ، لأن الاستعداد الأمثل لاستخدام الآلة الحربية انما يعد جزءا لا يتجزأ من الجهــاد .

فما هى اذن فكرة القرآن فى موضوع الاســــتراتيجية العسكرية ؟ ان التوجيهات التى تتناول النظرية الالهية للاستراتيجية العسكرية واردة فى الآيات المنزلة الخاصة بغزوات بدر وأحد والخندق وتبوك والحديبية . فالقرآن الكريم اذ يستعيد ذكرى بدر ، نبه نبى الاسلام صلوات الله عليه وسلامه قائــــلا فى سورة الأنفال (الآيتان ٩ و ١٠) : « **اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين وما جعله الله الا بشرى ، ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ، ان الله عزيز حكيم** » . واستطرد القرآن الكريم فقال فى الآية التالية مباشرة : « **اذ يغشيكم النعاس أمنة منه .. وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقــــدام** » .

وجاء فى القرآن الكريم عن غزوة احد (فى سورة آل عمران الآيات ١٢٤ ــ ١٢٦) : « **اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين . بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الآف من الملائكة مسومين . وما جعله اللــه الا بشرى لكم ، ولتطمئن قلوبكم به، وما النصر الا من عند اللــه العزيز الحكيم** » وقد تعرض المسلمون فى هذه المعركة ايضا لنكسة عسكرية . وفى ذلك الوقت أثابهم الله ــ كما جاء فى سورة آل عمران الآية ١٥٣ ــ « **غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم** » . وبعد موجة الغم ، أنزل الله عليهم أمنة « **نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية** » ، على ما جاء فى الآية التالية مباشرة .

كذلك الأمر فى معركة حنين ، فقد هزم المسلمون فى مستهلها وواجهوا موقفا يكاد يكــون شبيها بموقفهم فى معركة احد ، وان كانــوا لم يلبثــوا ان استعادوا رشدهم وحققوا انتصارا باهرا فى نهاية الامر . وفى هذا يقول القرآن الكريم فى الآيتين ٢٥ و ٢٦ من سورة التوبة : « **لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين**

اذ اعجبتكم كثرتكم ، فلم تغن عنكم شيئا ، وضاقت عليكم الارض بما رحبت ، ثم وليتم مدبرين • ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، وأنزل جنودا لم تروها ، وعذب الذين كفروا ، وذلك جزاء الكافرين » • ويحدثنا القرآن الكريم فى الآية الرابعة من سورة الفتح عن الموقف فى الحديبية فيقول : **« هو الذى أنـزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم »** • كما يحدثنا القـرآن الكريم فى الآية ١٨ من سورة الفتح عن البيعة التى أعلنها المسلمون فى الحديبية يوم كان الموقف عصيبا فيقول : **« فعلم ما فى قلوبهم ، فأنزل السـكينة عليهم ، وأثابهم فتحا قريبا »** •

ويؤخذ من المواقف التى سلف بيانها أن اللـه العلى العظيم كلما شـاء افسـاد خطط العدو وتدميرها أنزل السكينة والايمان فى قلوب المؤمنين تثبيتا لهذه القلوب ، وهى نعمة منزلة منه هو تعالى • والمعنى الذى نستخلصه من هذا الآيات هو أننا اذا رغبنا فى الحرب أن نحول بين خصومنا وبين ان يفرضوا علينا مشيئتهم فعلينا أن نتذرع بالسـكينة والايمـان ، والأمل والطمأنينة بين صفوفنا جميعا • ولكن ، ماذا نصنع لكى نفرض مشيئتنا الخاصة على العـدو ؟ فى التماس جواب عن هذا السؤال ، خليق بنا ان ننقب من جديد فى كتاب الله •

ففى حديث القرآن الكريم عن غزوة بدر ، وجه الحديث الى نبى الاسـلام صلوات الله عليه قائلا فى الآية ١٢ من سورة الأنفال **« اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا • سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب »** •

وعاد القرآن الكريم الى الحديث عن معركة أحد ، فوضح أسباب هزيمـة المسلمين وزودهم بارشاده الالهى عما يتخذونه من عمل فى المستقبل • فان التزم المسلمون بالناموس الالهى للسلوك الموصوف لهم ، فان القرآن الكريم ادخـر لهم وعدا فى الآية ١٥١ من سورة آل عمران هو : **« سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب »** • وثمة اشارة اخرى الى القاء الرعب فى قلوب الاعداء وردت فى سورة الأحزاب (الآيتان ٢٦ ، ٢٧) عن معركة الخندق : **« وانزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب ، فريقا تقتلون ، وتأسرون فريقا ،**

وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها ، وكان الله على كــل شيء قــــديرا » (اشارة الى غدر بنى قريظة) •

واللافت للنظر من جميع الحالات المتقدمة ان الله تعالى حين يريد أن يفرض مشيئته على أعدائه ، فهــو يختار أن يحقق ذلك بالقاء الرعب فى قلوبهم • ولكن ، ماهى الاستراتيجية التي يرسمها الله تعالى للمؤمنين لكى يفرضوا مشيئتهم على أعدائهم ؟ ان امر الله في هذا واضح ومحدد لنا بان نتبع ما جاء فى الآيتين ٥٩ و ٦٠ من سورة الأنفال : **« ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون • وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو اللـــه وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم »** •

ومن مؤدى ذلك ، أن الإستراتيجية القرآنية العسكرية تقتضينا أن نعـــد انفسنا ما استطعنا للحرب حتى نشيع الرعب فى قلوب الاعـــداء ، الظاهرين أو المستترين فى الحين الذى نكون فيه جد حريصين على اتقاء الرعب ان يلقيه العدو فى قلوبنا • فمن مقتضى هذه الاســـتراتيجية أن الوقاية من رعب العـــدو هى « الأساس » وان التأهب للحرب ما استطعنا هو « السبب » وان القاء الرعب فى قلوب الأعداء هو « النتيجة » • وكل الفلسفة تدور حول محور قلب الانســـان ونفسه وروحه وايمانه • وهدفنا الرئيسى فى الحرب هو قلب العدو أو روحـــه ، وسلاحنا الهجومى الرئيسى تحقيقا لهذا الهدف هو قوة روحنا • وعلينا لكى نقوى على شن هذا الهجوم أن نصون قلوبنا من الرعب •

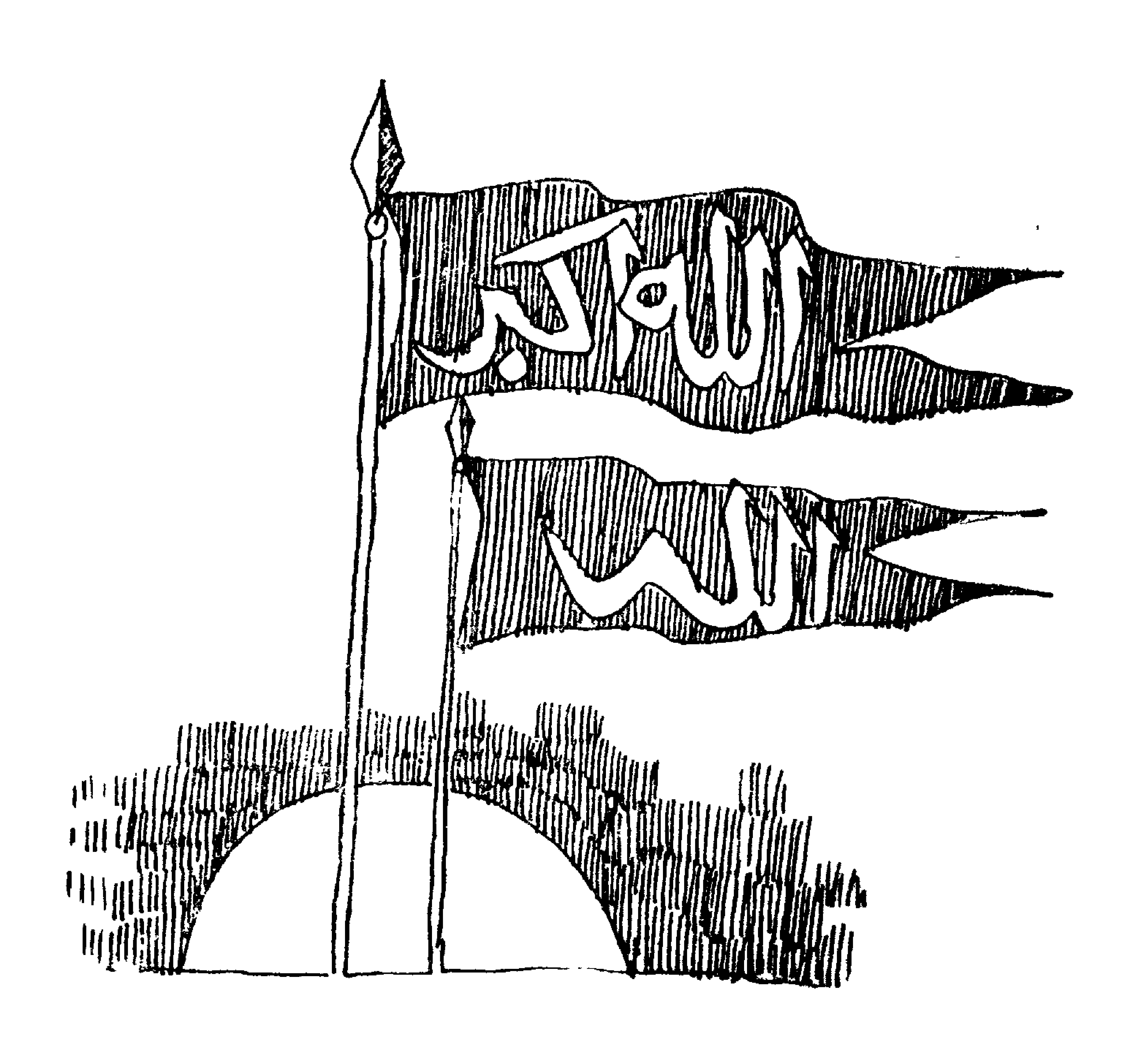
والاستراتيجية القرآنية تبدأ من مرحلة التأهب للحرب ، وتهـــدف الى فرض قرار مباشر على العدو • ومع بقاء جميع الاعتبارات الأخرى على حالهــا ، فان تأهبنا للحرب يمثل المؤشر الصحيح لأدائنا فى أثناء الحــرب ، وعلينـــا قبـــل مواجهة الأعداء فى ساحة الوغى بوقت طويل ان نثبت فى قلوبهم احتراما حقيقيـــا لقضيتنا و « سببنا » ومشيئتنا وارادتنا وعزمنا على تحقيق بغيتنا • وعند التأهب للحرب ، لابد لنا أن نكون على قدر من الحماسة والهمة والجد والتفانى حتى اذ ما خضنا « حرب العضلات » نكون قد انتصرنا فعـــلا فى « حــــرب الارادة »

والاستراتيجية التى تتوخى منذ مرحلة التأهب والاعداد القاء الرعب فى قلـــوب الأعداء ، هى وحدها القادرة على تحقيق النتائج المباشرة التى تجعل من حلـــم ليدل هارت حقيقة ماثلة •

وفى زمن السلم ، ينبغى « لارادتنا » أن تجد فى « التأهب والاســـتعداد » تعبيرا عن نفسها • فحرب التأهب التى نشنها فى زمن السلم اهم بكثير من الحرب الفعلية • والمخاطر التى تكتنف الاستراتيجية فى ساحة التدريب وفى المنـــاورات والتجارب العملية ومناقشة النماذج القتالية وفى مؤتمرات العمليات الحربية هـــى أكبر بكثير من المخاطر التى تكتنفها فى ميدان العمليات أو ساحتها • وكـــل شىء نعمله او نهمله فى زمن السلم يخلف أثرا معينا فى أعدائنا المحتملين ، سواء اكان هذا الأثر ملائما أو خلاف ذلك ، كما أن الاعمال التى نؤديها أو نهملها والتى تبدو تافهة أو بريئة من شأنها هى بدورها أن تتضافر وتكتسب أهمية كبرى • وعلينـــا أن نعى دائما ان استراتيجيتنا فى زمن السلم ينبغى أن تعمل بمنتهى الفاعلية، واننا بما نعمل ، اما أن نساهم فى بلوغ هدف الاستراتيجية أو فى تقويضه ، كيفمـــا كان الحـــال •

والتأهب للحرب ينبغى ان يكون فى الحدود القصوى «ما استطعتم» حسب التعبير القرآنى — سواء من حيث الكيف أو من حيث الكم ، وان يكون للتـــأهب عملا مستمرا لا نهاية له •

وينبغى للتأهب أن يكون على مستوى الاستراتيجية الكاملة ، أعنى الجهاد، لا على مستوى الاداة العسكرية وحدها • ولن نتحقق من التأهب العسكرى نتائجه المطلوبة الا اذا كان جزءا من التأهب الكامل الشامل • وقد تكون للتأهب الكمـــى حدوده المادية ، أما التأهب الكيفى فلا تحـــده الا مشيئتنا وقدرتنا على الظفر به• وكلما قلت الموارد المادية فى الحرب ، زاد الضغط والاعتماد على أبعادها الروحية• والقوة المقاتلة يتوقف فعلها وأثرها فى الميدان على قوتها الاجماليـــة من مادية وروحيه • فان قصر الجيش فى ناحية ، وجب ان يتفوق على العدو اجمالا • وفى وسع الجانب المقصر من قوة الجيش المادية أن يعول على قوته المعنوية ليحقـــق



من القوة الاجمالية درجة أعلى ٠ والقوة المادية يتعين التأهب لها واستخدامها الى أقصى حد (ما استطعتم ، بتعبير القرآن الكريم) ، كما أن التأهب المادى يتمـم التأهب الروحي ، والعكس صحيح ٠ ولايسع أيهما أن يكون بديلا عن الاخـر أو ان يشفع له عنـده ٠

والرعب الذى يلقى فى قلوب الأعداء ليس مجرد وسيلة ، انه هو الغـاية ٠ ومتى أنشئت حالة رعب فى قلوب الاعداء ، لم يعد هناك شىء يذكر يسـتحق

التحقيق • ففى هذه النقطة تلتقى الوسيلة والغاية وتمتزجان والرعب ليس وسيلة لفرض قرار ما على العدو ، أنه هو نفسه « القرار » الذى ينبغى فرضه عليه • وما البلبلة النفسية والمادية فى أحسن حالاتها الا وسيلة وان لم تكن بحال الوسيلة الحاسمة لالقاء الرعب فى قلوب الأعداء • أما آثارها فتتصل بقدرة العدو المادية والروحية ، وقل ان تكون لها طبيعة دائمة أو باقية • والجيش الذى يمارس الفلسفة القرآنية للحرب فى اجمالها ومجموعها هو جيش محصن من الضغوط النفسية • وحين يتحدث المعلق العسكرى ليدل هارت عن فرض قرار مباشر على العدو عن طريق البلبلة النفسية وحدها ، فهو انما يسرف فى أخذ الأمر قضية مسلما بها •

وليس ممكنا القاء الرعب فى قلوب جيش بمجرد قطع خطوط مواصلاته أو حرمانه من خطوط انسحابه • فالرعب يرتبط اساسا بالروح الانسانية قوة وضعفا • ولن يتسنى القاء الرعب فى نفس العدو الا اذا انهار ايمانه • فالبلبلة النفسية وقتية . أما البلبلة الروحية فدائمة • والبلبلة النفسية يمكن احداثها بعمل مادى ، ولكن هذا لا ينطبق على البلبلة الروحية • والقاء الرعب فى قلوب العدو يحتاج بالضرورة وفى آخر المطاف الى احداث بلبلة فى ايمانه • والايمان الذى لايقهر ، هو الايمان المحصن من الرعب • والايمان الضعيف هو الذى يفتح السبب أمام الرعب • أما الايمان الممنوح لنا من قبل القرآن الكريم فكامنة فيه قوة قادرة على طرد الرعب منا وعلى تمكيننا من ان نلقيه فى نفوس العدو •

وايا كان شكل الاستراتيجية الموجهة الى العدو أو نوعها ، فلابد لها لكى تكون فعالة من ان تقوى على القاء الرعب فى قلوب العدو • فان أخفقت الاستراتيجية فى استيفاء هذا الشرط ، عانت من أسباب القصور والضعف الكامنة فيها ، ووجب النظر فى تعديلها ومراجعتها • وتنطبق هذه القاعدة بكاملها على الحرب النووية أسوة بالحروب التقليدية ، كما تصدق على استراتيجية الردع النووى الشائعة اليوم • ولكى تكون استراتيجية الردع مجدية ومؤثرة ، فلابد لها أن تكون قادرة على القاء الرعب فى قلب العدو •

الفصل الثامن



* « الله مخلف ما اتلف النـــاس ، والدهر متلف ما جمعوا ، وكم من منية علتها طلب الحياة ، وحياة ســـــببها التعرض للموت » .

للشروع فى هذه الدراسة ، دعنا أولا نستعيد بعض النظريات التقليدية حول ادارة الحرب ، ثم ننتقل فى ضوئها الى دراسة المبادىء القرآنية المتعلقة بهذا الموضوع • لقد حاول ليدل هارت فى كتابه الثمين « الاستراتيجية المنهج غير المباشر » أن يستخلص من تاريخ الحرب بعض الحقائق التجريبية التى عدها حقائق أساسية عامة حتى أطلق عليها اسم « النواميس الأولية » •

وفى رأيه أن هذه النواميس تنطبق على التكتيك كما تنطبق على الاستراتيجية على حد سواء • وقد انتهى هذا المفكر العسكرى العظيم الى نتيجة من مؤداها ان مبادىء الحرب يمكن تركيزها فى مبدأ واحد ، أعنى تركيز القوة فى مواجهة الضعف • وتطبيقا لهذا المبدأ ، ساق ثمان قواعد ، ست منها ايجابية واثنتان سلبيتان أما القواعد الايجابية فهى : الحرص على الهدف ، والتوفيق بين الوسائل والغاية ، والأخذ بسياسة الحد الأدنى من التوقعات والمقاومة ، والاقدام على عمليات من شأنها تهديد أهداف متعددة ، والتأكد من أن الخطط والترتيبات على درجة من المرونة تسمح بتكييفها حسب الظروف • أما القاعدتان السلبيتان ، فقد حبذ فيهما الا يلقى الثقل كله فى ضربة واحدة متى كان العدو فى حالة استعداد ، كما حبذ عدم تكرار نفس الأسلوب والخطط اذا فشل هجوم ما •

وقد أكد نابليون الحاجة الى تركيز الجهد ، والى العمل الهجومى والى المباغتة والحماية ، أما كلاوزفتز فقد وضع قاعدتين أوليتين للحرب ، هما

تركيز الجهد والعمل بقوة فى وجه قوات العدو الرئيسية ، مما يعنى ضمنا ان الحسم انما يتم فى ساحة العمليات الرئيسية • ويرى فوش أن القاعدتين الحاسمتين فى الحرب هما الاقتصاد فى القوة وحرية العمل • ويتفق أندريه بوفر مع ماذهب اليه فوش •• ولكنه يضيف الى ذلك أن تطبيق هاتين القاعدتين يحتاج الى الاقدام على خطوتين تدرجيتين ، أولاهما هى اختيار النقطة الحاسمة للهجوم ، وثانيتهما اختيار المناورة التمهيدية التى يتسنى بها الوصول الى النقطة الحاسمة •

ولكن لابطال التحرير نهجا مختلفا فى مجابهة هذه المشكلة ، فقد كثفوا نظرية الحرب وممارستها فى ثلاث قواعد رئيسية هى : وحدة البلاد والجيش ، وحماية المناطق الخلفية وأمنها وضرورة القيام بعمل نفسى سابق على العمل العسكرى تمهيدا للسبيل الى النصر • كما أخذ البعض منهم بست قواعد أخرى هى : الانسحاب المركز فى وجه العدو الزاحف ، والزحف فى حالة انسحاب العدو ، والاحتفاظ استراتيجيا بنسبة ١ : ٥ مع ضرورة الاحتفاظ تكتيكيا بنسبة ٥ : ١ ، والتآلف المتين بين الجيش والسكان المدنيين وقدرة الجيوش على أن تعيش غير معتمدة على موارد العدو •

وهناك طائفة اخرى من النظريات أخذت تظهر فى الحين بعد الحين • فعلماء الجغرافية السياسية من أمثال كندر وسبايلسمان يرون تطبيق الاستراتيجية على الجغرافيا • أما دوشيه فيرى ان السلاح الجوى هو وحده السلاح الحاسم • وأما القنبلة النووية فقد اعتبرت فى المراحل الاولى لاختراعها السلاح المطلق • وهناك نظريات وتشكيلات عسكرية كان لها تأثيرها الحاسم فى ادارة الحرب فى حينها ، مثل « الفيلق الاغريقى » و « اللواء الرومانى » و « النظام المائل » الذى اتبعه فردريك الاكبر ، وحرب الخنادق فى الحرب العالمية الاولى • والحرب الخاطفة ، وهو الاسلوب الذى اتبعه النازيون فى الحرب العالمية الثانية • ومع تقدم المعارف العسكرية نشأ جدال حول ممارسة القيادة العسكرية وموقفها من مراعاة قواعد الحرب ومبادئها • فارتأت احدى

مدارس التفكير أن احترام المبادىء المتعارف عليها هو عامل مطلق الأهميـــة فى الحرب ، بينما ارتأت المدارس الأخرى أن المبادىء ان هى الا معوان للقيـــادة ، لان القيادة ، فى عرفها ، هى العامل الحاسم . وقد نشأ فى يومنا هذا تعـــارض بين « الانسان » و « الالة » نتيجة للتقدم التكنولوجى . وفى حين ان البعض يرى أن التكنولوجيا هى العامل المسيطر فى الحرب ، يؤكد غـــيرهم أن العامل الانسانى التقليدى مازال يستأثر بالأهمية . بل لقد بدأنا نصل الى مرحلة اصبحت فيها « الآلة » أعقـد وأصعب من أن يستخدمها « الانسان » .

والنظريات المعاصرة لادارة الحرب تشتمل على قدر كبير من الاعتمـاد على مبادىء الحرب ، وان لم يتفق جميع المفكرين العسكريين على مجموعة معينـة من هذه المبادىء . ويزيد عدد القوائم المتضمنة لهذه المبادىء والتى يقـــول بها المفكرون من وقت الى آخر على أربع وعشرين قائمة ، ولكن المبـادىء التى تدرس بصفة عامة فى المعاهد العسكرية تدور حول الاحتفاظ بالهدف والعمـــل الهجومى ، والحشـــد ، والتنســيق ، والاقتصاد فى الجهـــد ، والأمن ، والروح المعنوية ، والادارة ، ووحدة القيادة .

أما المبادىء القرآنية الخاصة بادارة الحرب فتشتمل عـلى فن اتخـــاذ القرار ، وسمو الغرض واختيار الأهداف ، واستمرار الجهـد والكفاح ، والتقييم المقارن للمواقف ، والسيطرة ، والتحكم ، والارادة والعزيمـــة ، والصـــبر والمثابرة ، والثبات والصمود ، والصلاة . ومن شأن هذه القواعد ، ضمن الاطار العام لنظرية الاستراتيجية الحربية فى القرآن الكريم ، ان تســــبغ على الجيوش الاســـــلامية روح الطمأنينة والامـــل والثقة وترفع من روحهم المعنوية ، كما انها تلقى الرعب فى قلوب العدو . وفى الفقرات التالية نتنـــاول بايجاز كلا من هذه القواعد .

اتخـــاذ القـــرار :

تقول آيات الذكر الحكيم فى الآية ١٥٩ من آل عمران ــ والخطاب موجه الى النبى صلوات الله عليه وسلامه : « وشاورهم فى الأمر ، فاذا عزمت فتوكـــل

على الله ، ان الله يحب المتوكلين » • وهذه السطور ــ وقــد نزلت بمناســـبة غزوة أحد عندما انقسم الرأى حول اختيار ساحة القتال ــ تنطوى على ثلاثــة أمور رئيسية ، هى : أولا : أن جميع القرارات المتعلقة بالحرب ينبغى ان تتخــذ بعد مداولات ومشاورات هادئة متبصره عميقة مفصــلة • ثانيــا : ان ســلطة اتخاذ القرار النهائى تكمن فى القائد • ثالثا : ان القرار متى اتخــذ ، فلابــد من الاستمساك به والتفانى فى الحرص عليه بعناد • ومتى روعيت جميع الاعتبارات « الانسانية » فى اتخاذ القرار ، فلابد من الاعتماد على اللـــه وطرح جميع المخاوف والشكوك والتحفظات •

سـمو الغرض :

متى اتخذ القرار ، وجب أن يبقى الغرض ساميا لا يعلو عليه شىء طــوال فترة ادارة المعركة ، ووجب أن يتابع انجاز هذا الغرض بحماسة وحيوية • وفى أيام الجاهلية ، كان المحاربون يجدون فى غنائم الحرب وفدية الاسرى الذين يقعون فى أيديهم أثناء القتال اغراء شــديدا • غير أن الوحى الالهى المنزل فى القرآن الكريم جعل من هذه الاغــراءات اعتبارا ثانويا بالنسبة للغـــرض الأول والأسمى وهو القضاء على العدو • اما الاعتبارات الخاصة بغنائم الحرب والفدية أو اكرام الاسرى ، فقد اعتبرت ثانوية الأهمية ولاينصرف اليها الاهتمام الا بعد أن « **تضع الحرب اوزارها** » كما جاء فى الآية الرابعة من سورة محمد ، أو بديل ذلك ، بعد أن « **يثخن (المسلمون) فى الأرض** » كما جاء فى الآية ٦٧ من ســـورة الأنفــال •

اختيــار الاهــداف :

فى مناسبة معركة بدر وجه القرآن الكريم أمرا الى المسلمين خاصا باختيار أهدافهم جاء فيه ــ حسب النص الوارد فى الآية ١٢ من سور الأنفـــال ــ : « **فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان** » • ومعروف أن أشــد اجزاء جسم الانسان حساسية هو ما فوق العنق ، فاذا ضرب العنق ضربة شـديدة ،

كانت قاضية على العدو • ولكن معظم مقاتلى قريش فى معركة بدر كانوا يرتدون الدروع ، ولهـذا أشار القرآن الكريم على المسلمين بأن يضربوا كـل بنـان للعدو • ومن هنا فان المتعين فى المعارك أن نبدأ بتحديد أضعف نقاط العـدو وأكثرها حساسية ثم نوجه الضربة اليها بهـدف تدميره تدميرا تاما • فان تعذر هذا ، فعلينا توجيه الجهد لاختيار الأهداف التى ان ضربت ، حـرمت العـدو من قدرته على استخدام اسلحته أو من كفاءته فى مقاتلتنا • وعلينا ان نحاذر دائما التوسل بضعفنا فى ضرب قوة العدو •

استمرار الجهـد والكفاح :

متى اتخذ القرار واختيرت الاهداف ، فالامر القرآنى الصادر الى المسلمين هو أن يواصلوا الجهـد والكفاح حتى يبلغوا هـدفهم بدأب ونشـاط • فقد جاء فى الآية ٤١ من سـورة التـوبة : « **انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكـم وأنفسكم فى سبيل اللـه ، ذلكم خـير لكم ان كنتم تعلمون** » وتكـرر الأمـر القرآنى حول هذا الموضوع • ومواصلة الجهـد والكفـاح معناه المضمر أن على المرء أن يبذل نفسه فى سبيل الله ، مقدما حياته أو أمواله أو الاثنين معا ، ممـا يتطلب من المؤمن ان يسعى الى هدفه متوسلا الى ذلك بخطط وأساليب وطـرق متعددة بديلة • وان الجهـود المتصلة المقترنة بالاصرار والحماسـة والتفانى التى تبذل فى سبيل تحقيق الهدف لابـد لها ان تتوج بالنجاح طال الـوقت أو قصر • على أن خير امتحان لهذه الفضيله هو ظروف الضراء لا السراء ، فأيا كانت الظروف المعاكسة ، لابـد من مواصلة الكفاح بمنتهى الحماسة والثقة •

التقييم المقارن للمواقف :

ان الحرب هى تفاعل بين اثنين أو اكثر من القوى المتعارضة وينصـح القرآن الكريم المسلمين عند تقييم أى موقف عسكرى بألا يغيب عن أذهانهم موقف العدو ، لأن الصورة الحقيقية لاتتضح الا بعد اجـراء تقييم نسـبى للجانبين • وفى هذا يؤكد القرآن الكريم للمسلمين ــ على ما جاء فى الآية ١٤٠ من سـورة آل عمران ــ انه « **ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله** » وكذا

جاء فى الآية ١٠٤ من سورة النساء : « **ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ٠ ان تكـونوا تألمون ، فأنهم يألمون كما تألمون ، وترجون من الله ما لا يرجون** » ٠ وان القدرة على تحديد نقطة الضعف عند العدو واستغلالها حتى فى الظروف المعاكسـة هى عمل من أسمى أعمال القيادة العسكرية ٠ ولقد كان خالد بن الوليد ، القائـد الاسـلامى العظيم ، خبيرا فى هذا الفن الذى يعزى اليه الى حد كبير ما حققه من انتصارات باهرة ٠ والقائد الناجح هو الذى يستطيع ان يقيس بدقة نقـط الضعف والقوة فيه وفى عدوه فى جميع مراحل سير الحرب ٠

السيطرة والتحكم :

القرآن الكريم حريص على أن تكون الجيوش الاسلامية فى منزلة التفوق والسيطرة والتحكم فى جيوش الأعداء على الدوام ٠ وقد جاء فى الآية الخامسة من سورة التوبة «**فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد** » وهـذا الامر موجـه الى المسلمين ٠ ثم ان كتاب الله حريص على ان يكون زمام المبادأة فى ايـدى المسلمين ، وذلك بالتخطيط للحرب وادارتها بشجاعة وقوة بعد التدبر والتبصر ٠ وسنرى فيما بعد أن الرسول الكريم ، برغم قلة عدده وعتاده ، لم يدع زمام المبادأة ينتقل منه الى العدو فى أى ظرف ٠ كما أن دراسة المعارك الحربية للرسول من شأنها أن توقفنا على بعض الاساليب التى اتبعها حتى يظل زمام المبادرة فى يـده ٠

الارادة والعزيمة :

نصح القرآن الكريم المسلمين فى الآية ٣٥ من سـورة محمد قائلا : « **فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الأعلون ، والله معكم ولن يتركم اعمالكم** » ٠ وفى نفس هذا المعنى خاطب القرآن الكريم المسلمين فى الآية ١٣٩ من سورة آل عمران قائلا : « **ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين** » ٠ واشار القرآن الكريم الي حالة الانهيار المعنوى التي أصابت المسلمين بعد معركة احد ، فقال

فى الآية ١٤٦ من سورة آل عمران « **وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير ، فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا ، وما استكانوا** » . وتحدث القرآن الكريم عن الفئة القليلة المستبسلة التى تثبتت فى مواقعها فى وجه الخطر الداهم فى معركة أحد فقال فى الآيتين ١٧٢ و ١٧٣ من سورة آل عمران « **الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح . للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم ، الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم ايمانا** » . ورساله القرآن فى هذه القضية الحيوية هى أن المؤمنين اذ يحاربون فى سبيل الفضيلة بتفان كامل وتسليم لله وارادة قوية ، والذين يبذلون كل تضحية فى سبيل هذه القضية ، ليس لهم أن يخيبوا أو يتولاهم اليأس أو يضعفوا فى ارادتهم وعزيمتهم واصرارهم .

الصبر والمثابرة :

يؤكد القرآن الكريم على عامل الصبر والمثابرة أعظم تأكيد ويعده من أهم عوامل كسب الحرب . ويتكرر فى القرآن الكريم قوله تعالى « **ان الله مع الصابرين** » كما جاء فى الآية ٤٦ من سورة الأنفال . كما يقول كتاب الله ان التذرع بالصبر والمثابرة فيه تعويض عن قلة العدد . ففى معركة بدر أمر الله رسوله قائلا ــ على ما جاء فى الآية ٦٥ من سورة الآنفال ــ « **يا ايها النبى ، حرض المؤمنين على القتال . أن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون** » . ويرى العلامة عبد الله يوسف على « أن لمضمون لفظه الصبر باللغة العربية ظلالا كثيرة من المعانى يتعذر التماسها فى لفظه انكليزية واحدة » وفى رأيه أن من معانيها التأنى لا الطيش ، والمثابرة والحزم والاصرار على بلوغ الغاية . ومن معانيها أيضا التذرع بالتؤدة فى التصرف ، فلا يتصرف المرء بعصبية ولا كيفما اتفق . كما ان مؤديات لفظة الصبر أن يواجه المرء ظروف الحزن والألم والضائقة والهزيمة بروح الامل والاستسلام والفهم . كما أن الصبر معناه اتباع العقل وكظم الخوف والغضب والرغبة . والصبر مظهر من مظاهر الشجاعة ، وهى بدورها تغتذى على الكفاءة المهنية من أعلى مستوى ، وتتعزز بها . وفى الحرب لا مفر من وقوع

خسارة فى الارواح والمعدات ، ولابد للخطط من أن يعتريها الاضطراب فيدعو الامر الى تعديلها ، كما أن الاحتكاكات الحادثة فى الحرب من شأنها أن تحدث اضطرابا فى خطط التحرك • فهناك مواقع يستولى عليها العدو ، وهجمات تصد أو حتى ترد • وكل هذا فى حاجة الى كفاءة مهنية تنشأ مقترنة بالصبر والشجاعة الأدبية ، فيستطيع المرء أن يجابه هذه المواقف وان يثابر حتى بلوغ الهدف ، مستهينا بالمشقات •

الثبات والصمود :

ان الثبات والصمود يسيران جنبا الى جنب مع الصبر والمثابرة وقد جاء فى الآية ١٢٣ من سورة التوبة : « **يا أيها الذين آمنوا ، قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة** » ، وهذه الغلظة هى ثبات المسلمين وصمودهم عشية معركة تبوك انفاذا للامر الالهى • وفى الكتاب أوامر مماثلة وردت فى مناسبات شتى ، ففى سورة الصف « الآية الرابعة » أوضح القرآن الكريم للمسلمين مكافأة الثبات والصمود فقال : « **ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص** » • وأمر القرآن الكريم المسلمين وهم فى خضم الحرب الا يديروا ظهورهم الى العدو الا فى حالتين اثنتين ، حيث قال فى سورة الانفال (الآيتان ١٥ و ١٦) : « **يا أيها الذين آمنوا ، اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ، ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة ، فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير** » • وهاتان الحالتان هما الانسحاب باعتبار ذلك جزءا من استراتيجية الحرب ، ورجوع مفرزة من الجيش الى حيث تنضم الى الجسم الاساسى للجيش • ويرى العلامة عبد الله يوسف على ان الاستراتيجية المقصودة هنا معناها التراجع توطئة للقفز الى الامام أو التظاهر بالهجوم لخداع العدو •

التضحية :

فى المنظور القرآنى أن أرفع الانجازات يكمن فى أرفع التضحيات • والتضحية معناها وجود رابطة بين الانسان والله ، ومن مؤدى هذه الرابطة

أن الانسان يضحى بالأشياء العارضة فى هذه الدنيا لينال فى مقابلها الخــــلاص الأبدى ، ويحقق أعلى أمانيه الروحية التى وصفها القرآن الكريم بأنهــــــا « **الفوز العظيم** » • والله تعالى يتســـــاءل قائلا فى الآيـــة ٢٤٥ من ســــــورة البقرة « **من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضـــعافا كثيرة** » • والتضحية قد تتخذ صورة احتمال الآلام أو المشاق أو الحاجة أو الجوع والعطش أو الاجهاد أو الاصابة أو الموت • ولابد للتضحية من ان يكون الدافـــع اليهـــا خدمة الغرض الالهى بروح مجردة من الانانية • أما جزاؤها فهو حياة الشرف فى هذه الدنيا والخلاص فى الآخرة • وفى هذا نزل الوعد القرآنى فى الآيـــة ١٩٥ من سورة آل عمران قائلا : « **فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنـــات تجـــــرى من تحتها الانهار ثوابا من عند الله ، والله عنده حسن الثواب** » • ومن الجـــــدير أن نلاحظ أن الله تعالى قد استخدم صيغة المفرد فى هذه الآية تأكيدا منه لنا بأن للتضحية قيمتها التى لا ريب فيها • والقرآن الكريم عامر بمثل هذه الآيات ، والتاريخ نفسه شاهد على أن كل أمة مضحية لابد أن يكتب لها النصر •

وحدة الفكر والعمل :

ان القرآن الكريم ليناشد المؤمنين فى أثناء القتال بأن يبدوا أرفع مستويات الحب والعاطفة والاحترام والاهتمام ، المشتركة فيما بينهم ، وهو يحثهم على أن يعتصموا بحبل الله ، ويجتمعوا على الامساك به بقوة وثبـــــات ، ويذوبوا فى صفوف متحدة متجانسة متآلفة • وفى هذا يقول كتاب الله فى الآيـــــة ٢٠٠ من سورة آل عمران « **يا أيها الذين آمنوا ، اصبروا وصابروا ورابطوا واتقـــــوا الله لعلكم تفلحون** » • كما ان القرآن الكريم يحثهم على أن يحذروا تفــــرق صفوفهم قائلا فى الآية ٤٦ من سورة الانفال : « **واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم** » • و يمضى القرآن الكريم فيشرح للمسلمين فكــــرة الوحدة قائلا فى الآية ٦٣ من نفس الســـورة :« **وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى**

الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم ، انه عزيز حكيم » •
وفى مناسبة أخرى قال القرآن الكريم فى الآية ٢٩ من سورة الفتح : **« محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم »** ويقوم التاريخ العسكرى الاسلامى شاهدا على أن الفرقة فى صفوف المسلمين هى من أكبر العوامل التى أفضت الى بعض هزائمهم المريرة ومن أبرز الامثلة على ذلك معركة **« تور »** التى حاربها المسلمون فى فرنسا عام ٧٢١ للميلاد وخسروها بسبب الشقاق الداخلى الذى دب بينهم • ولولا هذا الشقاق ، لكانت امامهم كل الفرص لكسب المعركة ولتغير مسار التاريخ الاوروبى كله نتيجة لذلك •

الامن والاحتياطات :

يتعين على الجيش ان يتخذ جميع الاحتياطات اللازمة لحمايته من مباغتات العدو • فقد جاء الأمر الالهى فى الآية ٧١ من سورة النساء قائلا : **« يا أيها الذين آمنوا ، خذوا حذركم ، فانفروا ثبات أو انفروا جميعا »** • كما أمر المسلمين بأن يتخذوا جميع أسباب الحيطة عند الصلاة ، فخاطب النبى صلى الله عليه فى الآية ١٠٢ من نفس السورة قائلا : « **واذا كنت فيهم ، فأقمت لهم الصلاة ، فلتقم طائفة منهم معك ، وليأخذوا أسلحتهم ، فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ، ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك ، وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم »** •
ثم مضى القرآن فى تحذيره فقال فى نفس الآية : **« ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ، ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى ان تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم »** •

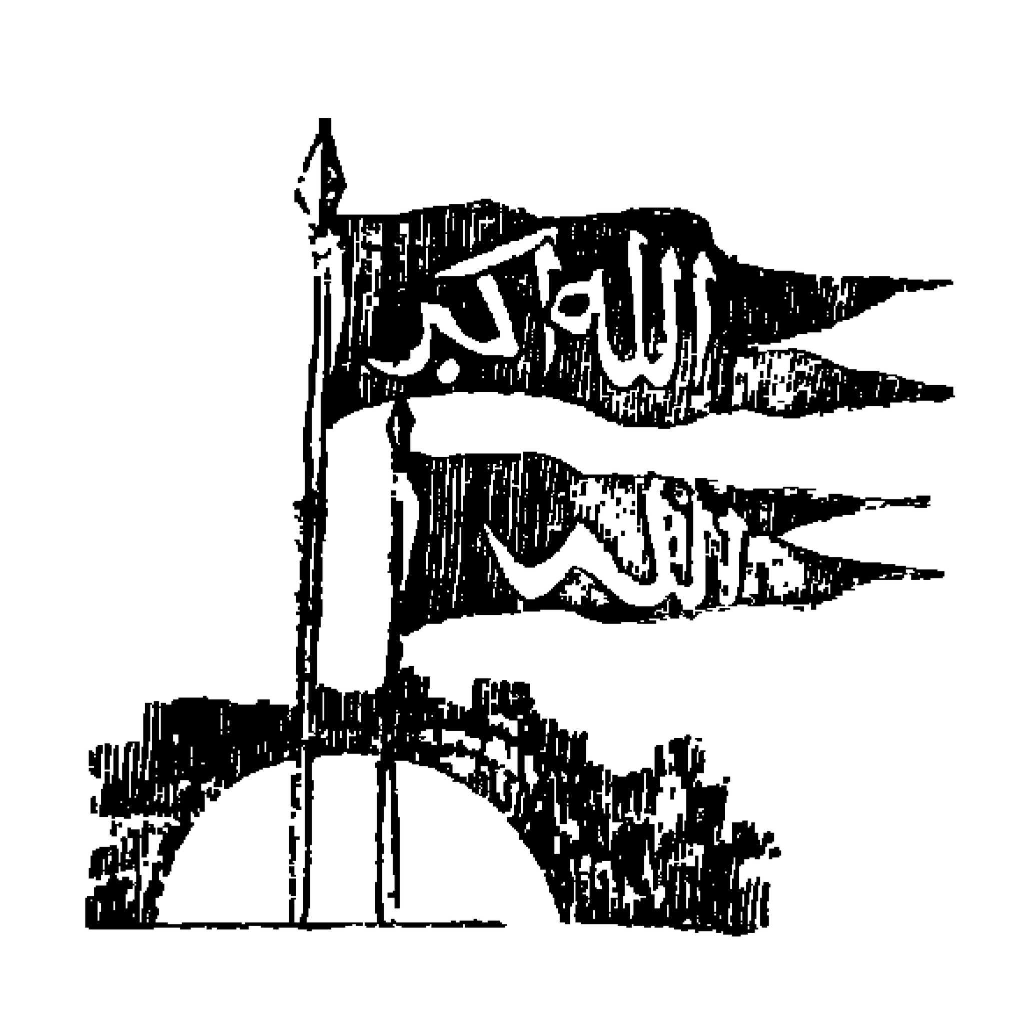
النظام والطاعة :

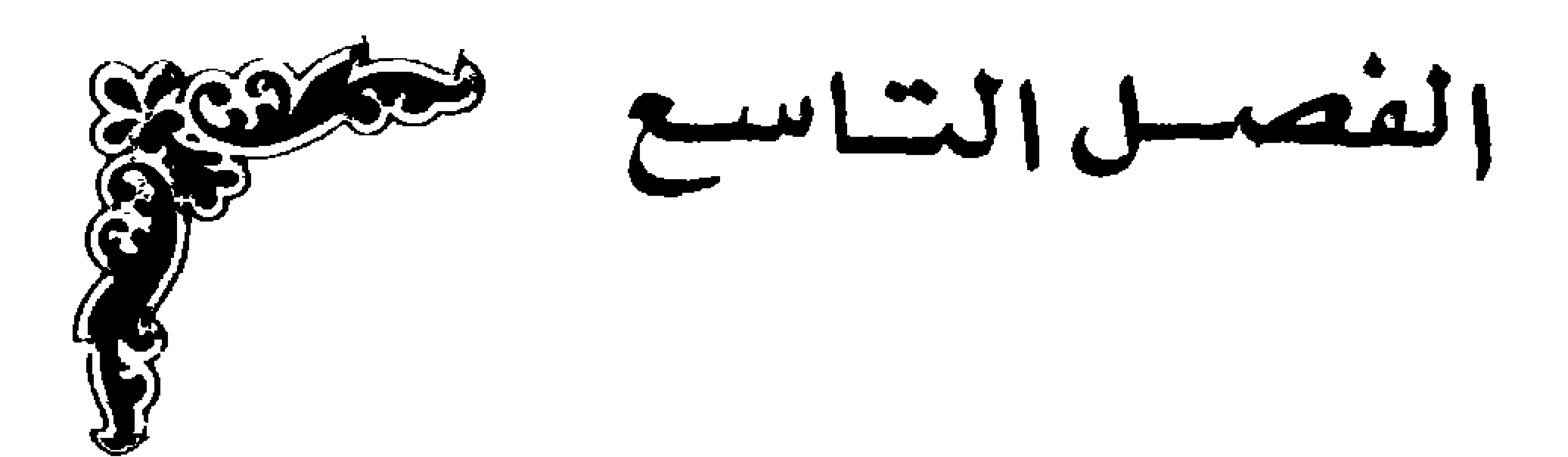
ان النظام والطاعة هما من صلب الاسلام ، دين التسليم لمشيئة الله • وقد أكد القرآن الكريم ضرورة تحقيق مشيئة الله والطاعة الناجزة لاوامره فى عدة مواضع ومناسبات • ومنذ ذلك الحين أصبحت طاعة المسلمين لقائدهم العظيم وامتثالهم واتباعهم لنظامه مثلا باهرا • ولئن كانت هناك أمثلة لا حصر لها على تسليم المسلمين وطاعتهم ، فلابد من أن نذكر أنفسنا دائما بأن هزيمة المسلمين

فى أحد انما كان سببها الرئيسى افتقارهم الى النظام وعصيانهم للاوامر •

الصـــــــلاة :

يأمر القرآن الكريم المسلمين بأن يعمدوا الى الصلاة فى زمن الحرب أكثــر مما يعملون فى زمن السلم • والفلسفة القرآنية فى هذا الأمر هى أن الصلاة تقوى الايمان وتحمى المرء من التوترات النفسية • وفى القرآن الكريم عدد لا يحصى من الاوامر التى تحض على الصلاة وحسبنا فى هذا المقام أن نذكر أنفســـــا ببعضها • فقد جاء فى الآية ٤٥ من سورة الانفال : **« يا أيها الذين آمنوا ، اذا لقيتم فئة فاثبتوا ، واذكروا اللـــــه كثيرا لعلكم تفلحون »** • أما فى ما يتعلق بالاستجابة الالهية للصلاة ، فقد جاء القول الالهى فى الآية ١٨٦ من سورة البقرة: **« واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لى ، وليؤمنوا بى ، لعلهم يرشـــــدون »** •





الفصـل التـاسـع

* « يا أهل الاسلام ، ان الصبر عز، وان الفشل عجز ، وان مع الصـــبر النصر » .

خالد بن الوليد



أن الكفار أعلنوا على الاسلام حالة حرب في اليوم الذى ولد فيه هذا الدين الجديد ، وواصلوا حـربهم اثنى عشر عاما دون أن يحدث أى انتقام من جانب المسلمين • ولم يخض المسـلمون الساحة الا بعد هجرتهم الى المدينة المنورة • ومنذ ذلك الحين أصبحت الحرب عملية ذات جانبين واستمرت نحو ثمان سنين•

وفى خلال السنين الخمس الأولى لهذه الحرب ظلت مكة المركز السـياسى الرئيسى فى جزيرة العرب ، وكانت قريش تتخذ من المسلمين موقفا استراتيجيـا هجوميا • وفى هذه الفترة ، شنت ثـلاث حملات رئيسية على المدينة بقصـد القضاء على جماعة المسلمين فيها ، فهزمت فى موقعة بدر ، ولكنهـا نجحت فى الظفر بانتصار عسكرى على المسلمين فى معركة احد • وبعد معركة أحـد ، ازداد نشاط قبائل الكفار المحيطة بالمدينة ووجهت بضع هجمات الى المدينة رغبـة فى الاجهاز على المسلمين نهائيا ، ولكنها أخفقت • فتآمرت قريش مع الكفار واليهود، وشنت هجومها الثالث والأعنف عـلى المدينـة بعد ذلك بعـامين ، فنجحت فى فرض حصار على المدينة ، ولكنها هزمت فى آخر المطاف فى معـركة الخنـدق الشهيرة • وبهذا التحول فى الموقف ، جردت قريش من القدرة على شن هجوم جديد على المدينـة ، ونشأت عـن ذلك حالة من التوازن الاستراتيجى بيـن المتحاربين •

وبعد ذلك بسنة ، وقعت فى الحديبية معاهدة للصلح مدتها عشر سـنوات بين المسلمين وأهل مكة • وكان من نتيجة ذلك أن جاء عهد تساوت فيه الجماعتان من حيث استخدام قواهما السياسية فى المنطقة • وبعد عامين فتحت مكـة ، وترجح الموقف نهائيا فى مصلحة المسلمين الذين ثبتت أقدامهم • وفى الفتـرة

بلاد العرب : سنة ٦١٠ للميلاد

بلا مقياس رسم

التالية نجح المسلمون فى القيام بحملات ناجحة أخرى لاخضاع القبائل المعادية فى حنين والطائف وفى المعاقل اليهودية فى خيبر وفـدك ودومة ووادى القرى فى شمال بلاد العرب ، احتك المسلمون بالشام الخاضعة للحكم الرومانى ، وجرب الطرفان ارادتهما وعضلاتهما فى معركتى المؤتة وتبوك [1] •

وفى عام ٦٣٢ للميلاد ؛ وهى السنة التى انتقل فيها نبى الاسـلام الى رحمة الله ، كان المسلمون قد فتحوا جزيرة العرب كلها ، وهى رقعة تعـادل مساحة أوربا ناقصـة روسيا • ويقول محمد حميد اللـه أن هذه الرقعـة الشـاسعة من الأرض لم يكلف فتحها الا ١٥٠ رجلا من الأعداء قتلوا فى ساحة الحـرب •

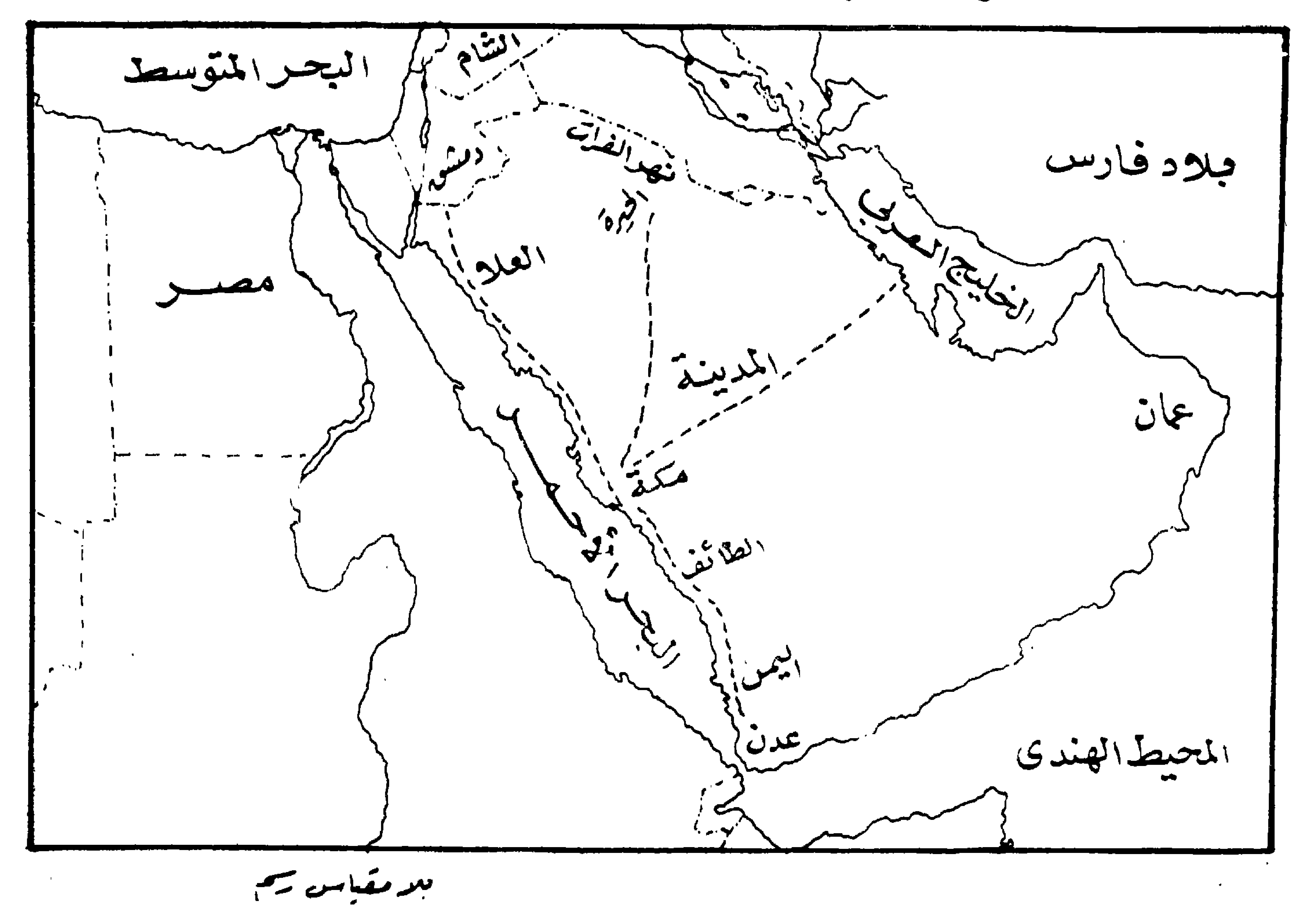
وقبل ذلك بعشر سنوات ، أى فى عام ٦٢٢ م عندما انتضى المسـلمون السـلاح للمرة الأولى ؛ كان وجودهم فى هذه البلاد الصـحراوية المعـادية وجـودا ضئيلا ، وكانت أوضاعهم السياسـية والاجتماعية والاقتصـادية التى تعين عليهم تخطيط الحـرب وشـنها فى ظلها أوضـاعا عامرة بالمخاطر بالنسبة لهـم • فمن الناحيـة السياسـية ؛ كانت الدولة قـد ولدت لتوها ، وكان عليها أن تصمد أمام الفئات اليهودية المعتصـمة بالاسوار والشديدة البأس فى المدينة المنورة • وكانت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية شرا من ذلك ، لأن كـلا من الانصار والمهاجرين كانوا يواجهون مشكلات اقتصادية حادة • أما من الناحيـة العسكرية فقد كان على المسلمين ان يجابهوا خصوما متعددين هم أهل مكة واليهود والكفار من القبائل المجاورة والمنافقون ، وكانت مواردهم شديدة الضآلة • ومما ضـاعف من تفاقم هـذه المشكلات ما بـدا من أن هناك هجوما وشـيك الوقوع عـلى المدينة يقدم عليه اهل مكة بمؤازرة معظم الفئات المعادية الأخرى •

وكان الشغل الشـاغل للنبى محمد صـلوات الله عليه وسلامه فى ذلـك الوقت هـو الدفاع عـن الدولة التى أقيمت فى المدينة المنورة • وكانت المدينـة معرضـة لتهديد رئيسى مصـدره مكة التى تبعد عنها ٤٠٠ ميـل • كمـا كانت معرضـة لتهديد مباشر لا يقـل عنه ضراوة من جانب اليهود والكفار والمنافقين•

---

(١) راجع المعارك العسكرية للنبى صلى الله عليه وسلم فى الملحق الاول •

طرق التجارة / القوافل



بلا مقياس رسم

ولو أنه تقرر التخلص من هـذا التهـديد المباشر بايلائه أولوية قصـوى ، لاستنفد طـاقة المسـلمين بأسرها ، ولبقى العـدو الرئيسى بلا مسـاس • ولو حدث ؛ خلافا لذلك ؛ ان فـرض الحيـاد على قريش أو تم تدمـيرها ، لكان معنى ذلك تخليص المدينـة من عـدوها الرئيسى ، ولكان معناه كذلك انزال نكسـة شـديدة بالاعداء الباقين من الناحيتين المـادية والنفسـية •• وواضح ان المسـلمين كانـوا يفتقرون الى الموارد اللازمـة للتصـدى لكل خصومهم دفعـة واحـدة ؛ كما كان من الأهمية الحيوية بمكان أن يحولوا دون ائتـلاف الخصوم صونا لأمنهم وسلامتهم •

وقد تصدى النبى محمد صلوات الله عليه وسلامه لهؤلاء الأعـداء المتعددين بالتنسـيق بين الادوات الروحية والدبلوماسـية والعسـكرية التى يستخدمها • ففى الساحة الدبلوماسـية • تم تحييـد يهود المدينة الذيـن كانـوا يمثلون الخطر المباشر على أمن الـدولة ؛ وذلك عـن طـريق عقـد معـاهدة للصـداقة والتعـاون وتبادل المسـاعدة معهم ، وتوسـيعا لرقعـة الأمن حـول المدينـة عقـدت مع القبائل المحيطة بالمدينـة معـاهدات حياد ؛ وان لـم تكـن معـاهدات صـداقة وتعـاون • أما المنافقون ، الذين لم يكونوا حتى ذلك الوقت قـد اكتسـبوا أبعادا منذرة بالخطر ؛ فقد تركوا جانبا ، لتولى أمرهم فيما بعـد • وفى السـاحة الروحية ؛ طلب من المؤمنين أن يظهروا للكفار أسـلوبهم الجـديد فى الحيـاة وأن يحاولوا اسـتمالتهم للدخـول فى دين اللـه بالأسوة الحسـنة والموعظة •

أما الاستراتيجية التى اتبعت مع أهل مكة ، فكان سبيلها هو اجهـاد العدو وارهاقه بتشـديد الخناق الاقتصـادى عليه واصابته بالبلبلة النفسـية • وكانت الفكرة الاساسـية فى هـذه الاستراتيجية تدعـو الى قطع طرق القـوافل بين مكة والشـام ابتداء ، على أن تقطع بين مكة وما بين النهرين (العـراق) فيما بعد • وكان الطريق الى الشـام يمتد مسافة أقصى طولها ٨٠ ميـلا من المدينـة الى البحـر الاحمـر ، فكان فى متناول ضربات المسـلمين • وكان هـذا الطريق أهم شريان حيـوى للتجارة ، ان لم يكـن الشريان الوحيد

الذى يستخدمه تجار مكة بصفة دائمة • وكانت الحياة الاقتصادية لقريش تعتمد بكاملها تقريبا على التجارة مع الشام ، أما البضائع التى تتبادل بين مكة وما بين النهرين فقليلة الحجم • ومن هنا حسب المسلمون بحق أن نجاحهم فى قطع طريق التجارة الى الشام يهز قريشا من الناحيتين الاقتصادية والنفسية •

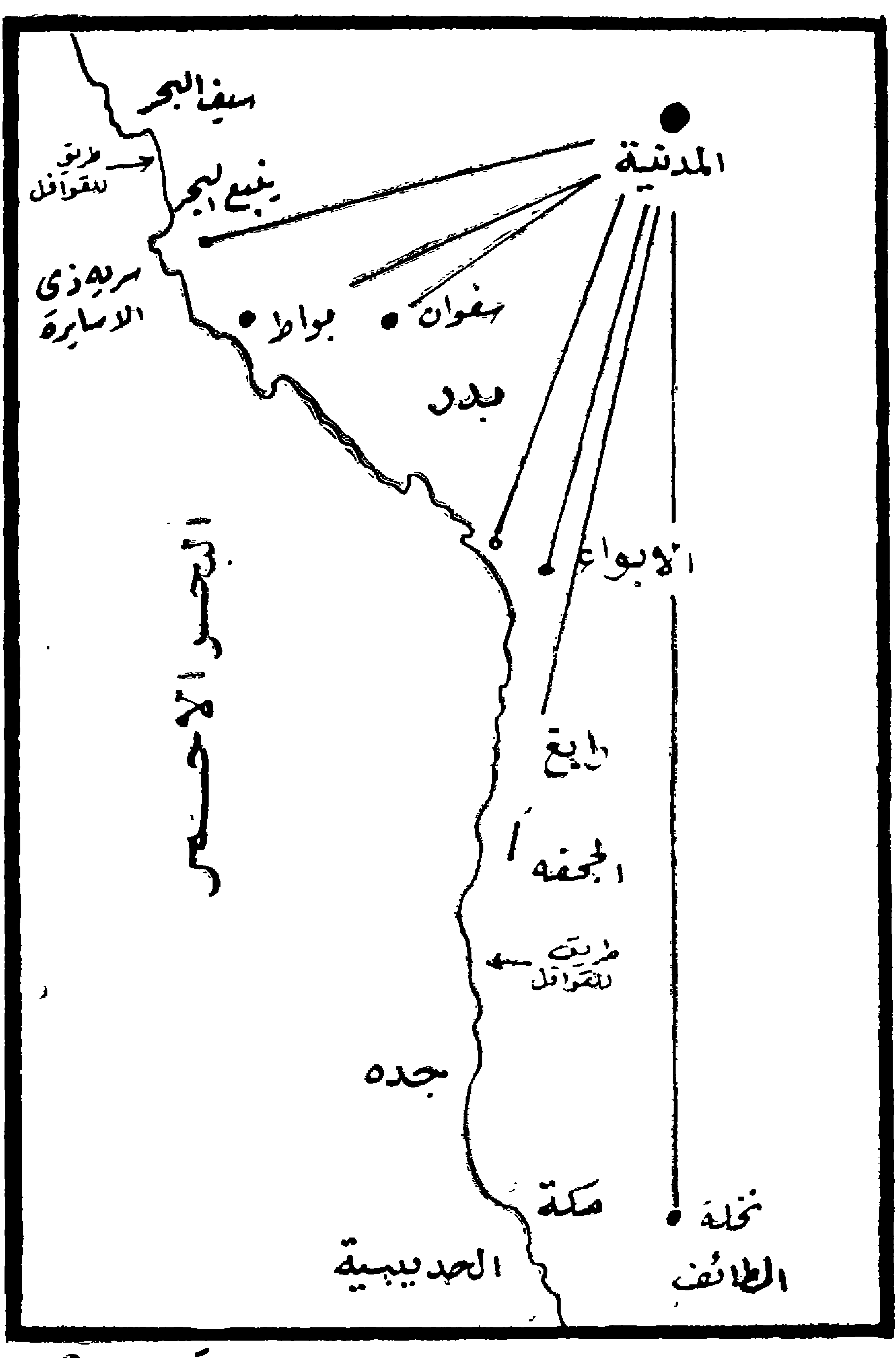
وعلى الجانب الآخر ، استهدفت استراتيجية الكفار ابادة المسلمين ابادة شاملة كاملة باستخدام القوة معهم ، فكانوا يسعون من ثم الى القضاء على المسلمين قبل أن يتمكنوا من تثبيت أقدامهم فى أرض المدينة وتطبيقا لهذه الاستراتيجية ، شرعوا يتخذون استعدادات شبه حربية ، كما اصطنعوا موادعات وأحلافا مع القبائل الاخرى المناوئة للمسلمين •

العمليات الأولى :

مع بدء الحرب ، أمسك المسلمون بزمام المبادرة ، وبدأوا يطبقون استراتيجيتهم • وبين أول رمضان والثانى من رجب حسب التقويم الهجرى ، اغاروا عدة اغارات وأرسلوا طائفة من الوفود للاتصال بالقبائل المجاورة ومحاولة كسب مودتها توسيعا لرقعة المناطق الآمنة حول المدينة • كما قاموا بالحد من استخدام قريش لطريق القوافل أو منعوهم من ذلك منعا باتا • اما الوفود التى بعثوا بها ، فقد كانت فكرتها أقرب الى الخيال ، كما كان تنفيذ مهمتها عملا من أعمال الجرأة والمغامرة • وأما طريق القوافل ، فقد قطع فى مواقع مثل سيف البحر ، ورابغ ، والابواء ، ويواط ، وسفوان • وحدثت اغارة على نخلة ، وهى موقع بين مكة والطائف على بعد نحو ٤٠٠ ميل من المدينة • وأمكن ارسال جميع هذه الوفود بمساعدة المهاجرين بمفردهم ولم يصاحبها أى سفك دم • وبصفة عامة ، نجحت الوفود فى مهمتها ، واصبحت قبائل قريش تتوخى شدة الحذر •

واتفق فى احدى الغارات التى وجهت الى قافلة لقريش عائدة من الشام ان تعرض المسلمون لموقف بالغ الدقة عند بدر • وكان أبو سفيان ، وهو

الغزوات السابقة على بدر ووفود الاتصال



بلا مقياس رسم

قائد هذه القافلة قد توقع ان يعترض المسلمون طريقه ، فبعث فى طلب نجدة عاجلة من مكة ردت عليه مكة بارسال جيش من خلاصة المحاربين قوامه ألف رجل • وفى احدى المراحل ، أصبحت الأطراف الثلاثة ، أعنى قافلة أبى سفيان والمسلمين وجيش قريش تتخذ شكل دائرة حول بدر تبعد عنها بخمسة وعشرين ميلا ، فدعا النبى صلوات الله عليه وسلامه مجلس الحرب الى الانعقاد لمواجهة هذا الموقف •

وكان أمام المسلمين ثلاث خطط بديلة للتصرف • أولها الاستيلاء على قافلة أبى سفيان الضعيفة الحول قبل وصول جيش قريش الرئيسى لنجدتها ، وهى خطوة كانت تبشر بنجاح ساحق لولا ان من شأنها الابقاء على جيش قريش الرئيسى دون مساس ، فضلا عن أنها لا تخلص المدينة من أشد ما يهدد سلامتها من مخاطر • وأما البديل الثانى فهو الانسحاب الى المدينة واجتناب أى احتكاك سواء بقافلة قريش أو بجيشها • ومثل هذا التصرف ينقذ المسلمين من ازمة مؤقتة ولكنه يسىء الى موقفهم على المدى الطويل • فمن شأن هذا التصرف ان يحرض قريشا وغيرها من القوى المعادية على توحيد صفوفها وشن هجوم مشترك على المدينة • وأما السبيل الأخير المتاح للمسلمين ، فهو خوض معركة مع جيش قريش الرئيسى وتدميره ، فيحققوا بذلك أكبر كسب لأمن المدينة وسلامتها ، ولكن بشرط أن يتوافر للمسلمين الحذق والشجاعة اللازمان لتدمير جيش عدو رجاله ثلاثة أمثال جيش المسلمين ، ومعداته تفوق معدات المسلمين وأسلحتهم بأضعاف كثيرة •

وكان رد الفعل لدى الأنصار من العوامل الهامة التى ساعدت عنى اتخاذ قرار فى هذا الموقف • ذلك بأن المسلمين الذينكانوا يحاربون فى هذا الموقع كان عددهم ٣١٣ منهم ٢٤٣ من الأنصار • وكان الانصار قد تعهدوا فى ميثاق العقبة بألا يدافعوا عن المسلمين الا فى حدود المدينة نفسها • ولما اجتمع الرسول بمجلس الحرب ، شرح الموقف بمنتهى الصراحة والافاضة لرجاله وأشار الى أنه يؤثر اللجوء الى البديل الثالث ، ثم التفت

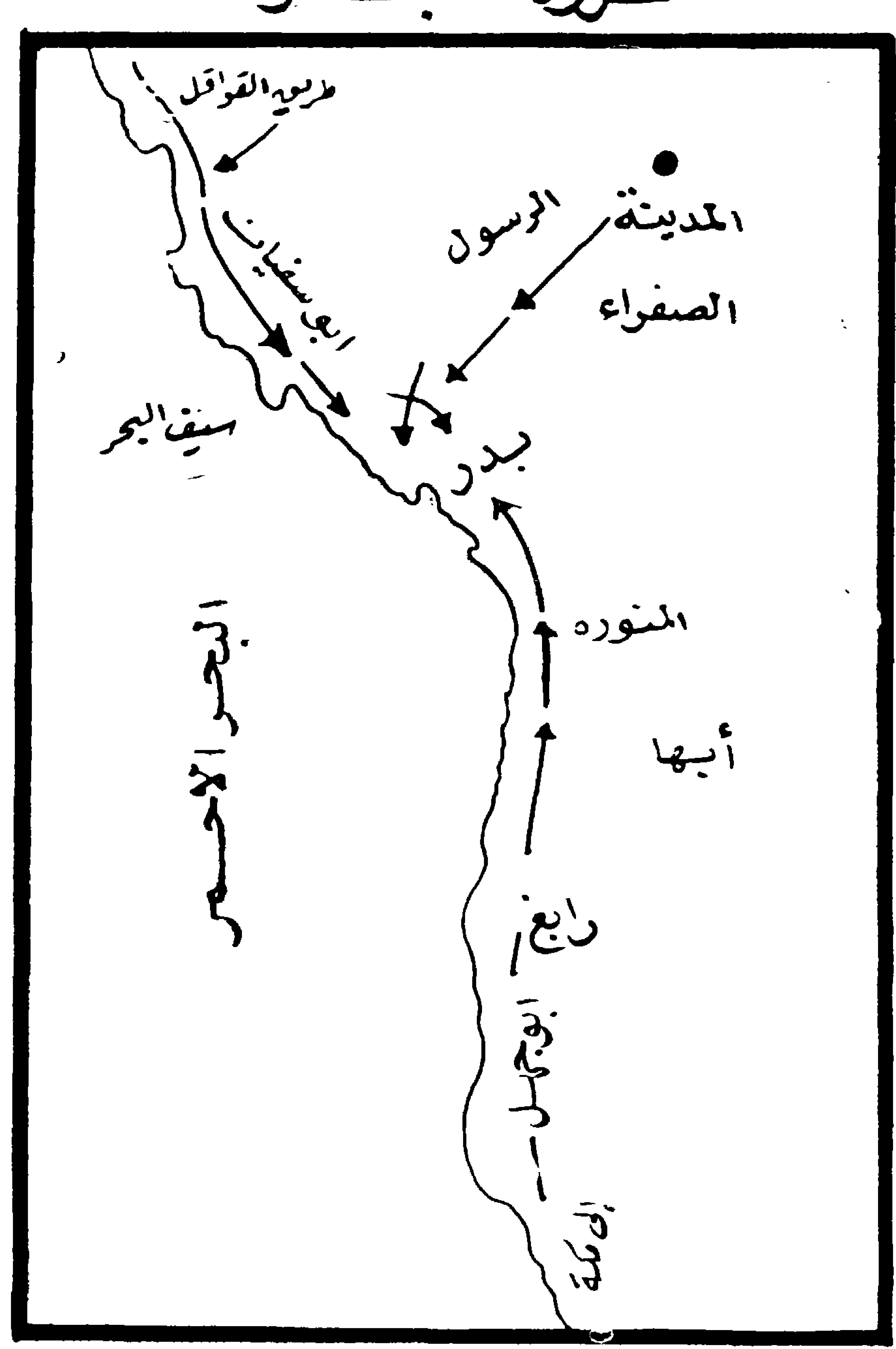
الى الأنصار أملا أن يقروه على هـذا الرأى ، فبادر الانصـار بالاعـراب عن موافقتهم بما هو معروف عنهم من تفان وعزم ، ومن ثم تقررت مواجهة الجيش الرئيسى لقريش عـند بـدر •

ويمكن استنتاج ضخامة القرار الذى اتخذه الرسول من العبـارات التى توجه بها صـلى الله عليه وسلم فى صباح اليوم الذى يتقرر فيه المصـير فى معركة بـدر ، اذ ناشـد ربه فى صلاته قائلا : **« اللهم ان تهلك هذه العصـابة اليـوم ، لا تعبد »** • أما القضية التى كانت مربط الفرس فى هـذه المناوشـة التى بدت صغيرة فهى قضية جوهرية بالنسبة لخالق هـذا الكـون وبالنسـبة لأفضـل مخلوقاته ، اعنى البشر • أما نتيجة المعـركة وما تـلاها من أحـداث، فقد برهنت على ان القرار الذى اتخذه النبى صلوات الله عليه وسـلامه كـان قرارا شـجاعا جريئا لانه كان قرارا سليما محسوبة كل تفاصيله • ومع قلـة عـدد المسـلمين فى بدر ، أثبتوا تفوقهم على عدوهم فى مجموع قوتهـم وفعاليتهم ؛ ومن هنا انزلوابالكفار هزيمة ساحقـة •

وفى الملحق الثانى من هذا الكتاب تسجيل لما ورد فى سورة الأنفـال عـن دروس معركة بـدر من واقع التنزيل الالهى • وتتعلق هذه الدروس بغـرض الحرب وببعض جوانب أبعادها واستراتيجيتها وادارتها ، كما تتناول الأمـور المرتبطة بغنائم الحـرب والأسرى وفديتهم • وفى أيام الجاهليـة ، كانت الاسلاب مطمعا شديد الاغراء للمحاربين • وكانت معركة بـدر أول مناسـبة خاض فيها العرب الحرب فيما بينهم كمسـلمين يحاربون غير مسـلمين ، وانتظر المسـلمون فى المعركة واستولوا على الغنائم أيضا • وكان من بين المؤمنين فريق أغرته هذه الغنائم واختلف مع زملائه الآخرين حول توزيعها • فجـاء القرآن الكريم قاضيا بان « الانفال لله والرسول » وان الأسرى لا يؤخـذون « حتى يثخن (المسلمون) فى الأرض » • ومؤدى هـذا ان على المسـلمين الا يطلبوا المغانم المادية وهم يقاتلون فى سبيل اللـه •

وكانت نتيجة معركة بدر أبعـد ما تكون عن توقعات قريش ، كمـا كانت

غزوة بدر



طريق القوافل
المدينة
الرسول
الصفراء
ابو سفيان
سيف البحر
بدر
البحر الأحمر
المنوره
أبها
رابغ
ابو جهل
من مكة

عقباها عليهم اشد وقعا من الكارثة ، فما كانوا ليسكتون على هذا المصير ، وكان عليهم ، اذا ارادوا البقاء ، ان يردوا على الجماعة المسلمة فى المدينة فورا وان يقضوا عليها • أما القضية التى كانت فى مهب الخطر بالنسبة اليهم ، فهى قضية استعادة الهيبة التقليدية لقريش ، وكذلك قضية استرداد شريانهم التجارى الحيوى • فطريق القوافل الى الشام كان أهم من أن يتخلوا عنه تخليا تاما • وكاجراء مؤقت ، تحولوا الى الشام كان أهم من أن يتخلوا ولكنهم بدأوا فى ترتيب خطة طويلة الأجل يحشدون فيها قواهم لتدمير المدينة والدولة القائمة فيها تدميرا تاما • فذهبوا يصطنعون أحلافا مع القبائل الاخرى ، وجمعوا وأنفقوا مبالغ طائلة ، وأخذوا يرسمون خطة لتجريد حملة على المسلمين فى المناطق المجاورة للمدينة لازعاجهم من ناحية ولكى يستردوا روحهم المعنوية الخاصة من ناحية أخرى •

أما المسلمون ، فكانوا قد عقدوا العزم من جانبهم على ألا يمكنوا قريشا من استخدام طريق القوافل مرة أخرى • فردوا اغارات قريش بنجاح ، ومضوا فى سياستهم السابقة الخاصة بكسب مزيد من الحلفاء بطول الطريق التجارى • ولم يكتفوا بهذا ، بل شنوا بدورهم غارات لاعتراض طرق القوافل القريشية المتجهة الى بلاد ما بين النهرين • ومن هنا ارسلوا سرية بنى غطفان وسرية بنى سليم لتحقيق هذا الغرض •

أحد : الأزمة والخروج منها :

انسياقا وراء سياسة قريش الخاصة بالقضاء على الجماعة المسلمة فى المدينة قضاء نهائيا مبرما • قاموا بعد سنة من هزيمتهم بحملة لغزو المدينة انتهت بمعركة أحد التى هزم فيها المسلمون هزيمة عسكرية ، وان كان القرشيون قد اخفقوا فى تحويل انتصارهم فى ساحة القتال الى قوة تفرض على المسلمين قرارا سياسيا • ومع هذا ، فقد كانت كارثة احد من أخطر الازمات التى لحقت بالمسلمين فى حياة الرسول صلوات الله عليه وسلامه • لقد كانت أحد معركة مليئة بالأحداث الجسام والقرارات الخطيرة ، ومن هنا نستخلص منها دروسا

وعبرا كثيرة • ويهمنا بوجه خاص أن نعرف الأسباب التى افضت الى هذه الكارثة وأن نتبين كيف أمكن السيطرة عليها والخروج منها سواء فى أثناء المعركة نفسها أو بعد انتهائها • وفى الملحق الثالث من هذا الكتاب دراسة تحليلية لهذه الأزمة التى نجمل أهم مظاهرها فيما يلى :

أ ــ هدف قريش من الحرب :

كان الهدف السياسى لقريش من غزو المدينة الذى انتهى بمعركة أحد هو القضاء قضاء تاما على الدولة السياسية التى قامت فى المدينة • وكان لابد لتحقيق هذا الهدف من ابادة المسلمين واخضاع المدينة لنفوذ قريش السياسى والعسكرى •

ب ــ اختيار ساحة المعركة :

لم يكد المسلمون يسمعون أخبار زحف أهل مكة حتى خاضوا مناقشات حول اختيار ساحة المعركة • فكان من رأى الأنصار وبعض المتقدمين فى السن أن يرتضوا الحصار المفروض على المدينة ويقاتلوا من داخلها ، وهو اختيار حبذه الرسول بدوره • أما الفريق الآخر فكان من رأيه المقاتلة من خارج المدينة ، • ولما كانت للفريق الثانى أغلبية ، فقد أخذ برأيه ، وتقرر مقاتلة قريش فى أحد على بعد ثلاثة أميال من المدينة شمالا •

جـ ــ غدر اليهود :

فى صباح اليوم الذى جرت فيه المعركة عمد يهود المدينة الذين كانوا قد التزموا فى موثق مع المسلمين بأن يحاربوا كتفا الى جوار كتف فى أى معركة يخوضونها مع العدو الطامع فى غزو المدينة ، •• عمدوا الى الهرب ، فانخفضت قوة المسلمين من ألف الى ٧٠٠ رجل ، ناهيك عما أحدثه ذلك من كرب وانزعاج عظيمين •

(د) توقع هرب القبائل المسلمة :

لما رأت قبيلتا بنى سلمى وبنى حارثة المسلمتان أن اليهود هربوا ، استولى

الجبن عليهما وتوعدتا بالهرب • ولكن النبى صلى الله عليه وسلم استطاع اقناعهما بالبقاء ، فتخلتا عن هذا التدبير •

(هـ) عصيان رماة النبال :

قبل وقوع المعركة ، أمر النبى خمسين من رماة النبال بأن يعتصموا بشعب تطل على جناح مكشوف للجيش ، وألا يغادروا أماكنهم تحت أى ظرف • واذ كان المسلمون يتحرشون بقريش فى أول هجوم لهم ، وبينما هم مشغولون بجمع الأسلاب ، عصى رماة النبال الاوامر الصادرة من النبى وتركوا مواقعهم ليظفروا بنصيبهم من الأسلاب •

(و) الهجوم المضاد الذى شنه خالد :

انتهز خالد بن الوليد قائد فرسان قريش الفرصة واستولى على الشعب التى كان يحتلها رماة النبال وشن على المسلمين هجوما مضادا من الخلف ، وأحدث فى صفوفهم اضطرابا شديدا • كما ان القريشيين المتقهقرين عادوا الى ساحة المعركة ووجهوا هجوما على شكل كماشة الى المسلمين • فعجز المسلمون عن مقاومة هجوم قريش ، وبدأوا يتداعون •

(ز) الاشاعات الخاصة بوفاة النبى :

فى أثناء البلبلة التى حدثت أثر الهجوم المضاد الذى شنته قريش ، أشاع واحد من قبيلة قريش أخبارا عن مقتل النبى صلى الله عليه وسلم • ولما شاع الخبر ، ترك معظم المقاتلين المسلمين ساحة القتال والأسى مستول عليهم • وواقع الأمر ان النبى أصيب فى المعركة ، وقد حماه بعض أنصاره المخلصين لانه كان وحده الهدف الرئيسى لهجوم الأعداء •

(ح) الكرب :

عند هذه النقطة كان الكرب الشديد قد استولى على المسلمين لأن انتصارهم الأول قد استحال الى هزيمة ، ولان الغنائم والاسلاب ، التى جعلت المسلمين

يعصون الاوامر باغراءاتها قد ضاعت عليهم • وتفرقت صفوفهم وأصيب نبيهم ، بل أشيع انه قتل وأصبحت قريش سيدة الموقف بكل جلاء •

(ط) افراح قريش :

عم الفرح « قريش » لما حققه رجالها من انتصـــار ، وبدأت تنقض خيامها ومعسكراتها • وخشى النبى صلى الله عليه وسلم ان يستغل العدو انتصـــاره فى معركة احـــد وينبرى لغزو المدينة . فنبه انصــــاره الى ضرورة التأهب لمجابهة الخطر المحدق ، وهو خطر لم يتجسم فى خاتمة المطاف . اذ ان قريشا عمدت الى حل خيامها وعادت ادراجها الى مكـــة •

(ى) الزحف على حمراء الأســـــد :

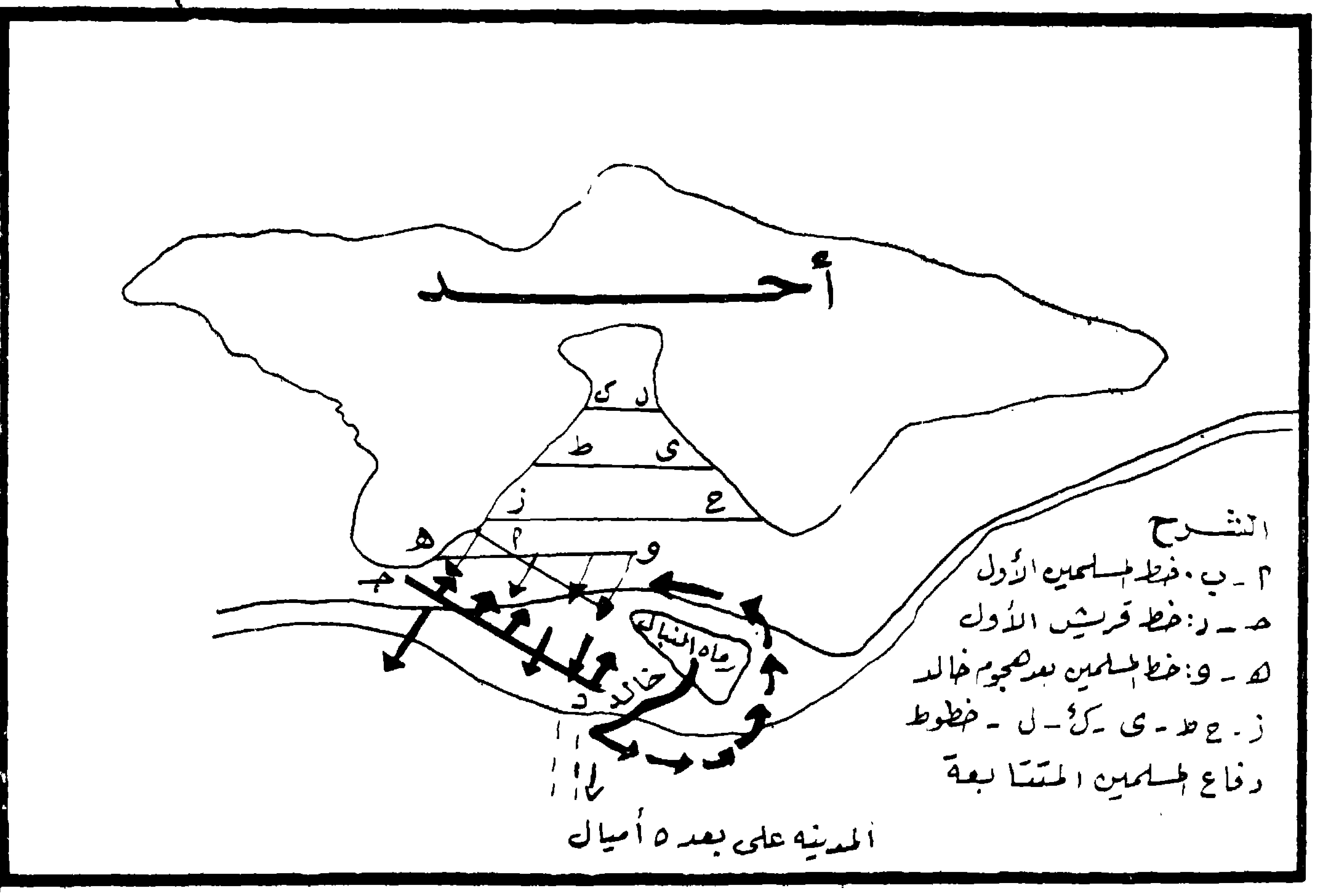
خشى الرســـول من احتمال عودة قريش الى غزو المدينة فى اليوم التالى ، فالتحم معهم فى حمراء الأسد فى ذلك اليوم . واكرههم على التفرقة فى كل اتجاه •

(ك) النهـــاية :

الواقع ان قريشـــــا حققت انتصارا باهرا على المسلمين ، ولكنها أخفقت فى تحقيق أهدافها السياسية ، وتخلت عن الســـاحة دون ان تفتح المدينة أو دون أن تترك قوات محتلة فيها • أما المسلمون ، فقد استمروا يسيطرون على المدينة كما كان شأنهم قبلا •

لقد كانت أحـــــد معركة عامرة بالدروس البليغـــة ، وقد أوردنا فى الملحق الرابع تحليلا لهذه المعركة كما جاء فى التنزيل الالهى فى سورة آل عمران • وترتبط دروسها بصفة رئيسية بطبيعة الحرب وأبعادها وادارتها • وتعرض هذا التحليل الانتقادى بافاضة لاسباب هزيمة المسلمين فى المعركة • والقول الدارج هـــو أن المسلمين خسروا المعركة لأن رماة النبال هجروا مواقع مسئوليتهم ، فقـــام خالد بالاستيلاء على الشـــعب ومنها شن هجوما جانبيا على المسلمين أخذهم على غرة وأحدث اضطرابا عظيما فى صفوفهم • ومما زاد من مخاوفهم أن جيش قـــريش الرئيسى عاد الى ســـــاحة القتال وهاجمهم واكرههم على ان يقاتلوا فى جبهتين

معركة أحد



بلا مقياس رسم

متضادتين • فكان من نتيجة ذلك أن اصابت المسلمين بلبلة افضت الى هزيمتهم • والذين يدرسون فن الحرب يستخلصون من هذه المعركة درسا بليغا هو أن عــلى الجيش ان يتيقظ لحماية أجنحته • فأى هجوم جانبى من شــــــأنه ان يحدث اضطرابا عظيما فى المعســــــكر المضاد ، واذا اكرهت القوات على أن تحارب فى اتجاهين متضادين ، كان ذلك عسيرا عليهم •

ولا ريب فى أن الاســتنتاجات المتقدمة هى اســتنتاجات صحيحة ، ولكنها ليست جامعة مانعة فى حد ذاتها • فلمعرفة الأسباب الحقيقية لهزيمة المسلمين ، يتعين علينا أن نبحث فى عمق عن السبب الذى حدا برماة النبال الى التخلى عن موقعهم • وفى سبيل تحرى هذه الاسباب ، لابد لنا من العودة الى معركة بــدر • فالواقع أن حب الاســتيلاء على الغنائم هو الذى انشأ روح المقاومة فى نفوس المســــــلمين بعد انتهاء هذه المعركة • وكان من نتيجة ذلك ان أمرهم كتاب الله بألا يلينوا لاغراءات الغنائم وألا يطلبوا فدية عن أسرى الحرب • وفى أحــــد أيضا خالفوا أوامر الرسول لكى يستولوا على حصتهم من الغنائم • ومعنى هذا أن شهوة الاستيلاء على الغنائم التى طالبهم القرآن الكريم بالتعفف عنها أثناء القتال فى سبيل الله لم تزايلهم • ومن ثم ، فالسبب الاصيل لهزيمة المسلمين فى أحد هو ضعف ايمانهم ، وليس الهجوم الجانبى الذى تعرضوا له والذى كان فى الواقع مظهرا من مظاهر هذا الضعف •

حدت هزيمة المســــلمين فى أحــد بالقبائل المجاورة الى الاعتقاد بأن أيام الاسلام باتت معدودة وأملا منهم فى أن يسددوا الى المسلمين ضربة قاضــية ، بدأوا فى شن حملات متعددة عليهم ، ولكن المسلمين قضوا على كل حملة منها فى ديارهم • ولم يكتفوا بهذا ، بل شنوا غارات ناجحة على طريق القوافل الشرقى وجعلوه هو بدوره طريقا غير آمن بالنسبة لقريش • وارسلت سرايا ذات الرقة ودومة الجندل وبنى المصطلق لهذا الغرض نفسه • ومما يجدر بالذكر أن المسلمين لم يعمدوا فى هذه الفترة الى الخمول ، ولكنهم احتفظوا تكتيكيا بزمام المبادرة ، وقاموا بأعمال جريئة جســـور • وفى هذا يقول جلوب (باشــــا) : « ان أبرز

المفارقات بين الطرفين فى هذه السنوات التى جرت فيها المعارك والخصومات هو أن المسلمين لم يكفوا عن نشاطهم ، بينما اتخذت قريش موقفا سلبيا على النقيض منـــه » .

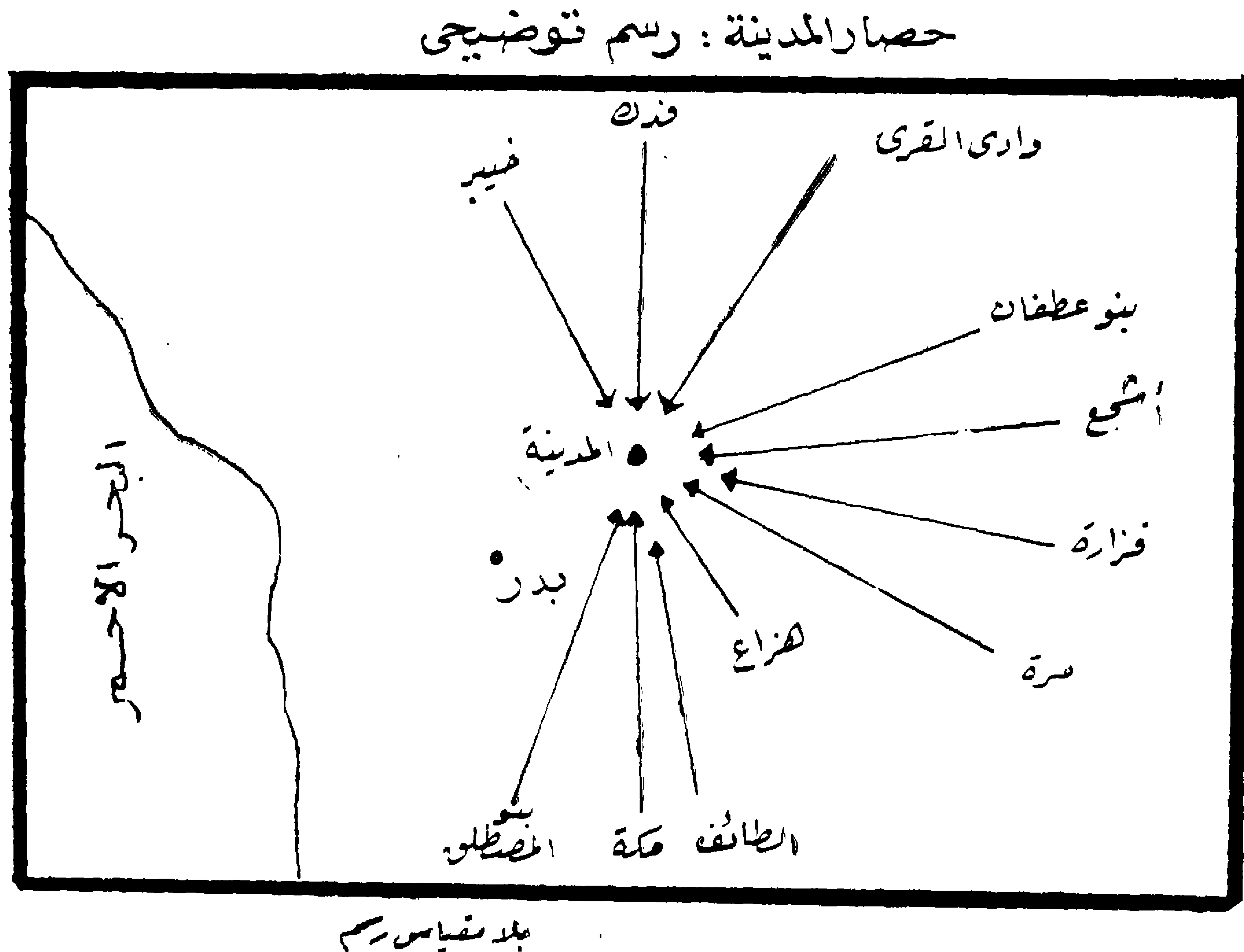
وفى المدينة نفسها ، نشـــط المنافقون فى القيام بأعمال التخريب ، وبدأوا ينشرون شائعات شديدة الخطر بقصد القضاء على الروح المعنوية للمسلمين . وجاء الذكر الحكيم فحذر المسلمين من الاحتفال بدعاوى العــدو . وطردت من المدينة قبيلة بنى نضر اليهودية التى نكثت عهدها مع المسلمين فى معركة أحــد ، فانتقل اليهود الى الشمال واســـتقروا فى خيبر وفدك ووادى القرى ، وبدأوا يؤدون دورا فعالا ضد المدنيين . فتواطأوا مع حاكم دومة الجنــدل والقبائل المجاورة وشرعوا يتعرضون لقوافل التجارة الخاصة بالمسلمين والتى تتنقل بين المدينة والشام . بل ذهبوا الى حد رشوة قبيلتى غطفان وفزارة لكى تنضما الى أهل مكــة فى شن هجوم جديد وأخير على المدينة .

على أن أهل مكة لم يلبثوا أن فطنوا الى انهم قد اخفقوا فى المضى بنصرهم العسكرى فى أحــد الى المدى الذى يمكنهم من فرض قرار سياسى على المسلمين واستولى عليهم الفزع عندما علموا أن الجماعة الاسلامية فى المدينة مازالت بكامل قوتها وانها تسيطر على المدينة ســيطرة شبه تامة، . وفى ســورة من الغضب واليأس شرعوا من جديد يوجهون الجهد الى انشاء جيش كبير لغزو المدينة . وفى ذلك الحين ، أسعدهم الحظ بالتحالف مع بنى غطفان واليهود ، وهؤلاء كانوا قوما أشداء وراغبين فى القتال . وهكذا اصبح كل شىء مهيئا لمحاصرة المدينة .

حصـــار المدينـــة :

كان حصار المدينة آخر وأقوى محاولة اضطلع بها أهل قريش للقضاء على المسلمين . وتوسل المكيون بأساليب شتى . منها الدعاية والهيبة التقليدية لقريش والهدايا والرشاوى حتى نجحوا فى استعداء القبائل فى شمال المدينة وشرقها على المسلمين . وفى يوم ٣١ من مارس ٦٢٧ م . ألفوا منهم اتحادا يضم عشرة آلاف رجل وحاصروا المدينة من ثلاث جهات . فمن الجنوب جاءت قريش تؤيدها قبيلتا

حصار المدينة : رسم توضيحي



بلا مقياس رسم

بني هذيل وبنى دمره ، وجاءت من الشرق قبائل غطفان ومرة واشجع وفزارة لتحاصر المدينة . اما يهود خيبر ووادى القرى وفدك ، فقد تدفقوا من الشمال • ولكي نضيف الى الحصار بعدا جديدا نذكر ان قبيلة بنى قريظة اليهودية المقيمة فى المدينة والتى كانت حليفا للمسلمين ، غدرت بهم ونقضت موثقها معهم ودخلت المعركة فى صف قريش • وكان هذا التطور شيئا خطيرا بالنسبة للمسلمين ، لان بنى قريظة بحكم موقعهم يستطيعون مهاجمة المدينة مباشرة وطعن المسلمين من الخلف •

وفى مواجهة هذا الاتحاد من جانب الأعداء لم يكن فى وسع المسلمين أن يجيشوا أكثر من ثلاثة آلاف رجل • ونزولا من النبى صلى الله عليه وسلم على نصيحة سلمان الفارسى — الذى دخل الاسلام من أهل فارس — أمر بحفر خندق فى الناحية التى كانت المدينة فيها مفتوحة أمام هجوم الفرسان • ووزع رماة النبال على مسافات مناسبة بطول الخندق ليراقبوا قريشا ويحبطوا أى محاولة لعبوره •

وقد حاربت قريش معركتها على الجبهات العسكرية والاقتصادية والنفسية فى وقت واحد • فعلى الجبهة العسكرية ، أحبطت بنجاح محاولتها عبور الخندق ، ولكنها تفوقت فى الجبهتين الأخريين وكانت لها اليد العليا فيهما • ومع استمرار الحصار زادت متاعب المسلمين الاقتصادية حتى كادت تقصم ظهورهم • كما ان انشقاق بنى قريظة أضاف أبعادا جديدة الى الضغوط النفسية التى تعرضوا لها ، وذلك على الرغم من أن محاولتهم الهجوم على المدينة تم احباطها بعناد • وفى احدى المراحل : أشار النبى على الانصار بأن يبرم المسلمون معاهدة صلح مع بنى غطفان ، وهم أقوى القبائل بين الكفار ، وكانت شروط الصلح غير ملائمة لهم بعض الشىء ، ولكن الأنصار ، وان سايروه مسايرة تامة ، ألحوا عليه فى الا يبرم هذا الصلح مراعاة لهم وحدهم • وجددوا له ثقتهم المطلقة وأبدوا عزيمتهم الصادقة على القتال الى النهاية •

ومع ما أبداه الأنصار من عزيمة ، فان الموقف كان يدعو الى وضع حد

سريع للمعركة • ومن هنا قرر النبى صلوات الله عليه وسلامه ان يشن حربا نفسية على الرباط الواهى الرفيع الذى يربط الأعداء معا • وبمساعدة افراد بنى غطفان الذين دخلوا الاسلام حديثا — وهو أمر لم يكن لدى قبيلتهم علم به — امكن اثارة الشك وسوء الظن المشترك بين بنى قريظة من ناحية وقريش وغطفان من ناحية أخرى • وهنا ثارت ريح شديدة معاكسة ، واقترنت بها عوامل أخرى كصعوبة حصول مثل هذه القوات الضخمة على الطعام وعلف البعران بالاضافة الى حالة التفسخ الناشئة عن طول الحصار •• كل هذا زاد النار وقودا • واتسمت الهوة داخل معسكر العدو بين قريش وبين غطفان حتى قرروا رفع الحصار والانسحاب مضطرين • ونجح المسلمون فى آخر المطاف فى تحقيق انتصار حقيقى على أعدائهم المجتمعين دون سفك دم • وكلام الله فى تحليل واقعة الخندق وارد فى الملحق الخامس •

الحديبية ومكة :

وبعد سنة من واقعة الخندق ، قرر النبى صلوات الله عليه وسلامه ان يؤدى فريضة الحج الى مكة ومعه فرقة غير مسلحة من المسلمين قوامها ١٤٠٠ رجل • وقد جرى التقليد العربى من قديم على الامتناع عن الحرب فى الأشهر الحرم ، ولم يكن أحد ليحال بينه وبين دخول الحرم المكى • غير ان قبيلة قريش قررت فى مجلس الحرب الذى عقدته اعتراض سبيل المسلمين ومنعهم من دخول مكة وقطع الطريق عليهم عند الحديبية ، على بعد ثمانية اميال من مكة • وتوقعا من النبى الكريم لاقدام المكيين على وضع خطط شبه حربية ، ظفر من رجاله العزل من السلاح بوعد جديد بأن يحاربوا العدو حتى الموت • وقد وصف القرآن الكريم هذا الوعد وتلك البيعة بأنه تحقيق **« لرضا الله »** •

ولم تلبث المواجهة عند الحديبية أن أسفرت عن معاهدة صلح بين المسلمين وقريش ، اشتملت على اربعة أمور هامة ، هى : أولا — اقامة هدنة لمدة عشر سنوات بين المسلمين وقريش • ثانيا — عودة المسلمين الى المدينة دون أداء فريضة الحج فى تلك السنة على أن يسمح لهم بأدائها فى السنة التالية •

العمليات العسكرية : ٦٢٥ - ٦٣٢ للميلاد



ثالثا — اشترط عودة كل مكى هرب الى صفوف المسلمين الى قبيلته قريش .
رابعا — كل مسلم وصل الى مكة وحجزته قريش لا يتم تسليمه . وقد أحدثت الشروط الثلاثة الاخيرة خيبة أمل كبيرة فى نفوس المسلمين ورأى غالبيتهم أن هذه المعاهدة غير متكافئة وليس من الحكمة ابرامها ، واظهروا شيئا من التذمر والسخط ، ولاسيما عندما أمرهم الرسول بأن يكملوا شعائر الحج فى الحديبية ويعودوا الى المدينة .

وقد رحبت قريش بهذه المعاهدة وعدتها انتصارا باهرا لها . ولكن القرآن الكريم عدها « فتحا مبينا » للمسلمين . ولم تتضح الآثار الكاملة لهذه المعاهدة الا فيما بعد . ولم تكسب قريش من المعاهدة اكثر من انقاذ ماء الوجه والسماح باستخدام طريق القوافل بين مكة والشام . اما مكاسب المسلمين فكانت متعددة ، وأولها ان « قريشا » قد وافقت على أن يكون المسلمون شركاء متساوين معها فى ممارسة السلطة السياسية فى بلاد العرب . وثانيها أن المسلمين قد اطمأنوا الى حقهم فى أداء فريضة الحج فى السنة التالية . وثالثها : أن نبى المسلمين اصبح على اتصال بالقبائل الرحل حول مكة المكرمة يبشرها برسالة الاسلام . وكان من نتيجة ذلك ان دخلت معظم هذه القبائل فى الدين الجديد ، وبقيت مكة منعزلة وعديمة الأصدقاء . ورابعها ، أن القريشيين الهاربين أعيدوا الى مكة ولديهم عن المسلمين فكرة طيبة جدا بعد أن عاشوا بينهم ، كما أن المسلمين الذين لم يعودوا الى المدينة وبقوا داخل مكة نجحوا فى ايجاد طبقة من المسلمين أو العاطفين عليهم فى مكة نفسها . وآخر هذه المكاسب أن المعاهدة هيأت للمسلمين وقتا كافيا للتعامل مع القبائل اليهودية . المعادية فى خيبر ووادى القرى فى شمال بلاد العرب . وقد أوردنا فى الملحق السادس كلام الله عن صلح الحديبية .

وبعد عامين اثنين ، قام أهل مكة أنفسهم مبادئين بالغاء المعاهدة وترتب على ذلك ان جرد المسلمون حملة عليهم خلت من سفك الدم ، وتلا ذلك استسلام مكة . وقد اعترف النقاد والطاعنون ، مثل جلوب باشا ، وهم يتحدثون عن

معاملة النبى صلوات الله عليه لأهل مكــة ، بأن محمدا الظافر لم يعمــــد الى الانتقام والتشفى ، بل أعلن عفوا عاما عن الأعداء وصفح عما بدر منهم •

حنين وتبــوك :

كانت معركة حنين هى الضربة القاصمة التى سددت الى قوات الكفار فى بلاد العرب ، ولكن ذلك لم يخل من لحظات مر فيها المســــلمون بحالات قلق وانزعاج • فهذه هى المرة الوحيدة فى حياة النبى التى كان فيها المســــلمون يرجحون أعداءهم فى القوة العددية ، وبســـــبب هذا التفوق كانوا يتصرفون بمزيد من الثقة بالنفس ، حتى أنهـــــم حين توغلـــوا فى مناطق بنى هوازن الجبليـــة فاتهم أن يؤمنوا سلامة أجنحتهم • وبينما كانوا يجتازون ممر حنين الضيق لينطلقوا منه الى الوادى العريض امامهم ، هاجمهم بنو هوازن من جميع الجهات • وكان عنصر المفاجأة من جانب العدو مكتمل الاسباب ، حتى أصيبت طليعة المســلمين بالهلع والفزع وولت الأدبار ، فحذت حذوها بقية الجيش • أما الرسول ، فقد صمد مع فئة قليلة من رفاقه ، وصاح برجاله أن يلتفوا حوله • وبدا لفترة من الزمن أن الوضع شبيه بما كان عليه يوم أحد ، ولكنه لم يلبث ان صار تحت سيطرة المسلمين الذين حققوا نصرا مبينا فى آخر المطاف •

وقد أشرنا قبلا الى أن عمليات اخضاع القبائل فى شــــمال بلاد العرب جعلت المسلمين يحتكون ببلاد الشام الخاضعة لسيطرة الرومان • واتفق ان كان هرقل الامبراطور البيزنطى فى الشام فى ذلك الوقت ، وعند أول اختبار لقوته ، جمع جيشا كبيرا تحت امرته الشخصية وزحف الى تبوك واتخذ وضعا تهديديا بالنسبة لها • وكان رد فعل النبى للتهديد الرومانى أسرع من البرق ، اذ حشد قوة من ٣٠٫٠٠٠ رجل ، وهو اكبر جيش قاده فى حيــاته ، ثم زحف الى تبوك بنفسه • وفزع الرومان تلقاء سرعة رد الفعل من جانب المسلمين ، فتفرقوا قبل أن يصل جيش المسلمين • وقد أوردنا فى الملحق السابع ما جاء فى القرآن الكريم عن تبــوك •

الخاتمـــة :

ان العمليات الحربية التى اضطلع بها النبى صلى الله عليه وسلم ضـد الكفار ، ليست مجرد حملات ومعارك عسكرية ، بل انها فوق ذلك جزء لا يتجزأ من الوحى الالهى الذى نزل للمسلمين فى القرآن الكريم • وبالاضافة الى ذلك ، تعتبر « مؤسسات » نتعلم منها كيف تستخدم فنون الحرب وفقا لما رسمه العلى العظيم • ولابد لكل من هذه المعارك من بحث مفصل ودراسة خاصة لاستخلاص شىء من الأسلوب الجميل الذى قاد به النبى صلوات الله عليه وسلامه الحروب التى خاضـها وخطط لها وأدارها • على اننا اقتصرنا فى هذه الدراســة على الدروس الرئيسية المســتفادة من المعارك التى أسلفنا وصفها كيما نتفطن الى بعض الجوانب المعينة فى تطبيق الفكر العسكرى القرآنى •

لقد صدرت الأوامر الى المسلمين بأن ينتضوا السلاح فى وجوه ظالميهـم بعد هجرتهم الى المدينة واقامتهم دولة سياسية فيها • وأمامنا هنا دولة لا يعـدو وجودها أن يكون مجهريا ومـع ذلك طلب منهـا أن تجابه جبروت قريش وعشرات غيرها من قبائل العرب المعادية • وفى هـذه المرحلـة الحرجة ، استطاع النبى صلوات الله عليه وسلامه أن يبدى قدرة خارقة على التغلغل الى أعماق الأعداء ومعرفة كنههم ، ورسم اســتراتيجية تجاههم • وكانت قبيلة قريش فى مكة أبرز أعدائه ، أما الاستراتيجية التى رسمها لمجابهة قريش ، فقد دارت حول قطع طريق القوافل الذى تستخدمه فى التجارة مع الشام • ولم يحتاج الأمر الا الى بضع اغارات ، والا الى ايفاد بعوث دبلوماسية ــ ومعظمهـا برىء من سفك الدم ــ لتنفيذ استراتيجيته وتطبيقها • وكان من نتيجة ذلك ان حرم المكيون من استخدام طريق القوافل ، واصيبوا من جراء ذلك بصدمة فى كيانهم كجماعة • ولم يحدث فى التاريخ من قبل ان امكن تحقيق مثل هـذا القدر الكبير من النتائج بمثل هذا الجهد القليل ، ولا حدث شىء من هذا القبيل منذ ذلك الحين •

والحـرب التى خطط لها الرسول وأدارها كانت حربا مكتملة الجوانب الى

ابعد حد ، اذ شنها على جميع الجبهات داخلية وخارجية ، وسياسية ودبلوماسية روحية ونفسية ، اقتصادية وعسكرية • وها هنا موقف مثالى طبقت فيه الاستراتيجية العسكرية باعتبارها جزءا لايتجزأ من الجهاد — والجهاد يمثل الاستراتيجية الجامعة الشاملة — فأسفر هذا الموقف عن نتائج باهرة • وقد تسنى للمسلمين بفضل براعتهم فى استخدام قوتهم الكاملة أن يقلبوا موازين أعدائهم بعد أقل من خمس سنين منذ بدء الحرب •

وكان المكيون قد اتخذوا من بادىء الامر موقفا استراتيجيا هجوميا تجاه المسلمين ، ولكن المسلمين حرصوا دائما على الاحتفاظ بزمام المبادرة فى ايديهم على المستوى التكتيكى • وفى أعقاب غزوة بدر ، أقفل طريق القوافل الى الشام بصفة نهائية أمام المكيين ، واحبطت جميع مساعيهم لاعادة فتحه • وبعد الانتصار الباهر الذى حققه المسلمون فى بدر ، منوا بهزيمة عسكرية فى أحد • وهذه بدورها جددت ما كان بينهم وبين الكفار واليهود والمنافقين من خصومات • ورغبة من النبى صلوات الله عليه وسلامه فى وقف هذا الاتجاه ، ضاعف من نشاطه أضعافا على المستوى التكتيكى ، واصبح يقابل المعتدى ويقضى عليه داخل أراضيه فى جميع الحالات • والذى حدث فى هذه الفترة فعلا هو أن طريق القوافل الشرقى هوجم ولم يعد طريقا آمنا يستخدمه الكفار فى التجارة مع بلاد ما بين النهرين •

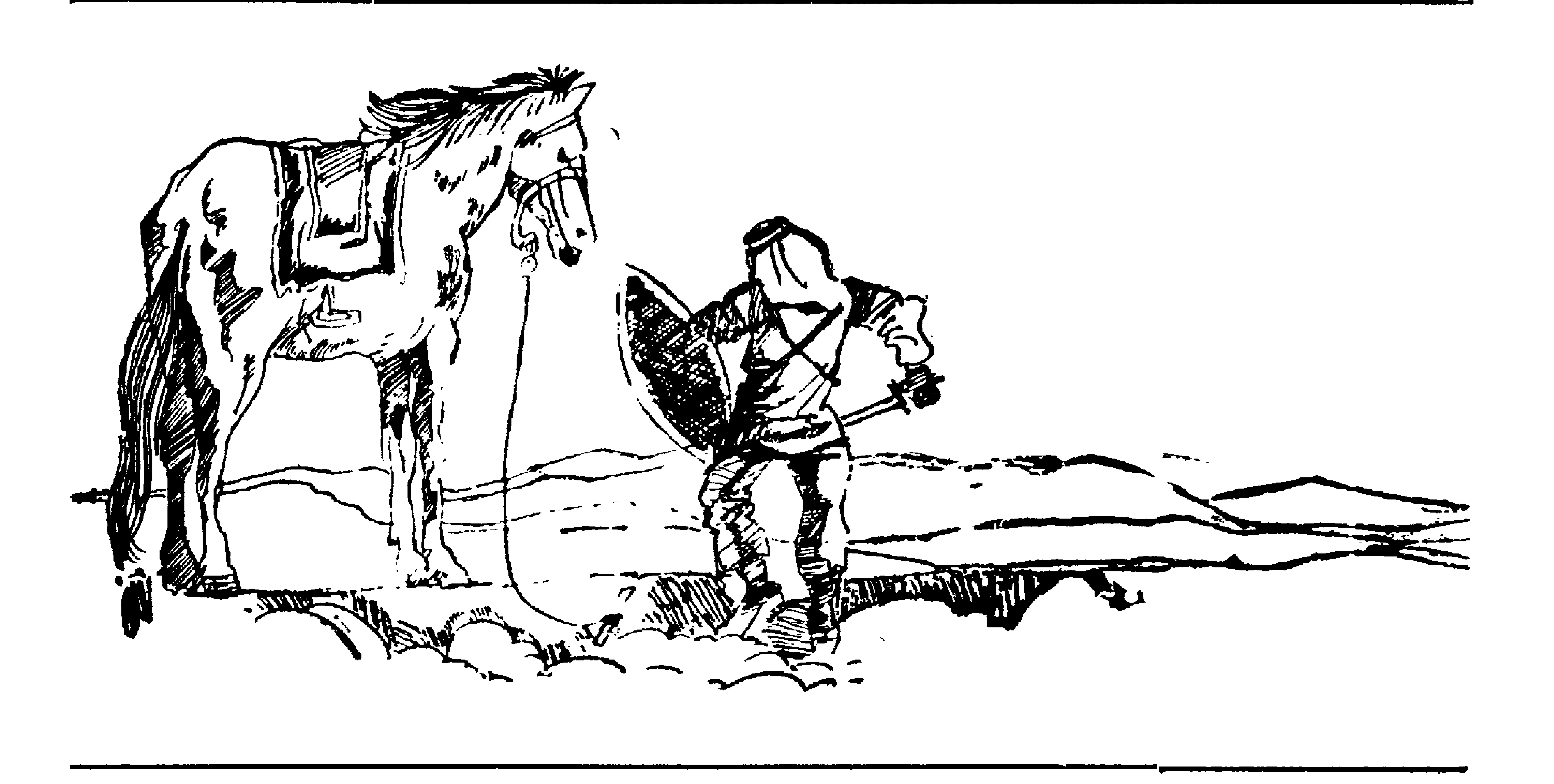
نرى بعد ذلك أن نبى الاسلام صلوات الله عليه وسلامه قد احيط فى الخندق بمجموعة من الاعداء من الداخل ومن الخارج • والذى يدرس علوم الحرب لا يسعه الا ان يدهش للكيفية التى استطاع بها النبى ان يحقق مثل هذا الانتصار المجيد على أعدائه فى ظروف هذا شأنها ! لقد تحقق له الفوز بتمزيقه للرباط النفسى الواهى الذى كان يربط الأعداء ، وهو رباط هش من حيث فحواه ومن حيث طبيعته ، ولكنه يجمعهم على هدف مشترك هو السعى لابادة المسلمين • ثم جاء صلح الحديبية ، وكان عسيرا حتى على المسلمين انفسهم ان يدركوا آثاره الكاملة فى بداية الأمر • ولكن هذا الصلح هيأ للمسلمين من الوقت ما مكنهم من التخلص من القبائل المعادية فى شمال بلاد

العرب ومن عزل مكة عن القبائل المجاورة لها • فكأن من نتيجة ذلك ان استسلمت مكة دون مقاومة تذكر •

وقد أنعم الباحث محمد حميد الله النظر فى استراتيجية النبى صلوات الله عليه وسلم فكتب يقول : « **الواقع أن النبى محمد قد آثر دائما ، من حيث السياسة العامة ، أن يغلب العدو دون أن يبيده • وكانت وسيلته الى ذلك مزدوجة فقد كان يشدد نكيره الاقتصادى على القريشيين ، كما كان يعزز قدرته العسكرية باستمرار بناء على سياسة طويلة الأمد • وكان يضرب فى اللحظة المواتية حين لا يكون العدو فى وضع يجرئه على ابداء أى مقاومة ، كما كان فى وسعه أن يحقق هدفه دون سفك دم • وهكذا تبقى جميع موارد العدو وطاقاته سليمة ، فان استخدمت فى أغراض البناء والخير ، زادت الدولة الاسلامية قوة** » • واذا كانت الاستراتيجية الكاملة قوامها عناصر هى اجتناب سفك الدم ، وتحديد جميع اسباب القوة الوطنية واجادة استخدامها والقدرة على تعيين مركز الثقل الحربى وتدميره ، واستخدام الاداة العسكرية احكم استخدام واكثره فعالية ، اذن فقد كانت حرب الرسول مع الكفار اعظم مثال على الاستراتيجية الكاملة •

كذلك نتعلم من هذه الغزوات ان القوة التى تصون ايمانها من التزعزع ، لا تتأثر بأى ضغط مادى أو نفسى بالغا ما بلغ مقداره • وعلى العكس من ذلك ، فاذا تعرض خصم واهى الايمان لأى تأثيرات نفسية ثانوية ، فربما أدى ذلك الى انزاله الهزيمة بنفسه • والجيش المسلم يغدو هدفا سائغا للحروب النفسية اذا ما وهن ايمانه وخانته ثقته بالله • ولو حدث ان اصيب جيش بأسره بالهلع والفزع ، فان صمود فئة قليلة مستبسلة كفيل اما بالتخفيف من وطأة الكارثة أو بتحويلها الى نصر •

وأبلغ درس نتعلمه من جميع هذه الحملات العسكرية ، سواء أتناولناها حملة حملة أم تناولناها فى مجموعها ، هو أنه اذا أريد للفلسفة القرآنية الحرب أن تؤدى الى النتائج المطلوبة ، فلابد من تطبيقها بتمامها تطبيقا كاملا ، دون تجزئة •



الملحق الاول

الحملات العسكرية للنبى صلوات الله عليه وسلامه

ملاحظـــات	الحمـــــلات	رقم مسلسل
جرت هذه العمليات فى الفترة من غــرة شهر رمضان الى الثانى من رجب . وقصد ببعض هذه الاغارات والاتصالات ابقـــاء طرق القوافل تحت رقابة دائمة . أمـــا بقيتها فقـــد اريد بها عقـــد موادعات ومواثيق للصداقة والحياد مـــع القبائل المجاورة . وقد شنت احدى هذه الغارات على نخلة بين الطائف ومكة على مســافة ٤٠٠ ميل من المدينة . أما الغــارة عــلى سفوان فكانت ذات طبيعة انتقامية . وتم ايفاد جمع هــذه الوفــود بمســاعدة المهاجرين وحدهم ، وتكاد جميعها تكـون قد تمت دون سفك دم .	**الاغارات السابقة على بدر ووفود الاتصال :** (أ) سرية سيف البحر (ب) سرية رابــغ (ج) سرية ضرار (د) غزوة ودان/الابواء (هـ) غزوة بواط (و) غزوة سفوان (ز) غزوة ذى العشيرة (ح) سرية نخلة	ـ ١ ـ
جرت هذه العمليات فى الفترة من الثانى من رمضان الى الثالث من شـــوال . واستهلت هذه الفترة بالنصر الخالد فى بدر، لكنها انتهت بالهزيمة العسكرية فى احــد . اشترك الانصار فى هذه المعارك اشتراكا كاملا . وكانت معركتا بنى ســليم وبنى سويق انتقامية فى طبيعتها . أما بنو قينقاع وهم احدى القبائل اليهودية الثــلاث فى المدينة والتى غدرت بالمسلمين فى بــدر ، فقد تم طردها من المدينـــة . (والقبيلتان الأخريان هما وبنو نضر وبنـــو قريظـــة سنتحدث عنهما فيما بعد) . وبســـبب الهزيمة التى أنزلت بقريش فى بــدر ، لم تستطع اســـتخدام طـرق القـــوافل بعد ذلك . وبعض هذه العمليـــات اقتصر على المبارزات وأريد بالبعض الاخـــر استعراض القوة من جانب أهل مكـــة الذين كانوا يفكرون فى غزو المدينة .	**العمليات بين بدر وأحد** (أ) غزوة بـــدر (ب) سرية عمير بن عدى (ج) سرية علم بن عمير (د) غزوة بنى قينقاع (هـ) غزوة بنى سليم (و) سرية بنى سليم (ز) سرية محمد بن مسلمة (ح) غزوة غطفان (ط) سرية القردة (ى) غزوة أحــد	ـ ٢ ـ

ملاحظـــات	الحمــــلات	رقم مسلسل
جرت هذه العمليات فى الفترة بين الثالث من شوال والخامس من ذى القعدة ، وكان المسلمون قد استطاعوا فى هذه الفترة ان ينهضوا من كبوة الهزيمة فى أحد ويحققوا انتصارا عظيما كاد يبرا من سفك أى دم فى الخندق . غير أن الطريق الى هذا النصر كان عسيرا ومحفوفا بالمخاطر . فبعد هزيمة المسلمين فى أحد ، اعتقد خصومهم ان أيام الاسلام باتت معدودة ، فشرعوا يعدون سلسلة من الهجمات على المدينة ولكن كل هجوم منها انتهى بتشتيت حشودهم المعادية أو تدميرهم بمهاجمتهم هجمات جريئة عنيفة داخل المنطقة . وطردت من المدينة قبيلة بنى نضر اليهودية التى نقضت ميثاقها مع المسلمين . وتستحق معركة حمراء الاسد عناية خاصة ، فقد اضطلع بها النبى فى اليوم التالى لأحد لكى يحول بين أبى سفيان وبين العودة الى غزو المدينة . كما أنه حدث ، وفاء بالوعد الذى قطع لابى سفيان بعد معركة أحد ، ان أرسلت جماعة الى بدر لمنازلة قريش ولكن « قريش » لم تكن هناك . وقد تم هذا بعد عام من أحد . وكانت موقعة الخندق خاتمة لكل محاولة من جانب قريش لشن حملات جديدة على المدينة .	**بين أحد والخندق :** (أ) غزوة حمراء الأسد (ب) سرية قطن (ج) سرية عبد الله بن عويس (د) سرية راجح (هـ) سرية بئر معونة (و) سرية عمرو بن أمية (ز) غزوة بنى النضر (ح) غزوة بدر (الأخيرة) (ط) غزوة دومة الجندل (ى) غزوة بنى المصطلق (ك) غزوة الخندق	ـ ٣ ـ

رقم مسلسل	الحمـــلات	ملاحظـــات
ـ ٤ ـ	**بين الخندق وخيبر :** (أ) سرية عبد الله بن عتيق (ب) غزوة بنى قريظة (جـ) سرية قريظة (د) غزوة بنى لحيان (هـ) غزوة القردة (و) سرية المرزق (ز) سرية ذى القصة (ح) سرية بنى صالحة (ط) سرية يموم (ى) سرية طرف (ك) سرية وادى قطرة (ل) سرية دومة الجندل (م) سرية فـــدك (ن) سرية المردة (س) سرية عبد الله بن رواحة (ع) سرية الغمر (ف) سرية عمرو (ص) غزوة الحديبية (ق) غزوة خيبر	جرت هذه العمليات فى الفتـــرة من الخامس من ذى القعدة الى السابع مـن المحرم . وفى خلال هذه الفترة شنت قبائل الكفار المجاورة ويهود شمال بلاد العرب عدة هجمات غير ناجحة على المدينة . ففى اليوم التالى لموقعة الخندق تم ابادة جميع أفراد قبيلة بنى قريظة اليهودية فى المدينة ، وهى القبيلة التى وضعت ايديها فى أيدى العدو . وبعد موقعة بدر ، تحولت قريش الى استخدام طريق القوافل الذىيعبر نجدا لنقل تجارتهم الى الشام ، فعمد المسلمون الى ضرب هذا الطريق بدوره . واهم حادث وقع فى هذه الفترة هو ابرام معاهـــدة الحديبية وبموجبها تعاهد المكيـــون والمسلمون على اقامة سلام بينهما مـدته عشر سنوات . وقد نقضت قريش هـذه المعاهدة فيما بعد وترتب على هذا فتـح المسلمين لمكة بعد ذلك بعامين .
ـ ٥ ـ	**بين خيبر ومكة :** (أ) غزوة وادى القرى (ب) غزوة ذات الرقاع (جـ) سرية عيسى (د) سرية الكديد (هـ) سرية فدك (و) سرية حسمى (ز) سرية تربة (ح) سرية بنى كلاب (ط) سرية الميفعة	جرت هذه العمليات فى الفترة بـــين السـابع من المحرم والثامن من رمضان . واهم ما وقـــع فى هـــذه الفتـــرة هو فتح مكة دون سفك دم . فقد انبـرى المسلمون لفتح مكة عندما نقض المكيون معاهدة الحديبية بعد ما يقرب من عامـين

رقم مسلسل	الحمـــــلات	ملاحظـــــات
	(ى) سرية خربة (ك) سرية بنى مرة (ل) سرية بشير بن سعد (م) سرية ابن أبى العوجاء (ن) سرية ذات الاصلاح (س) سرية ذات الأرق (ع) سرية المؤتة (ف) سرية ذات السلسال (ص) سرية سيف البحر الثانية (ق) سرية مهراب (ر) غزوة مكـــــة	بن عقد هذا الصلح . على ان الفترة التى تخللت ذلك هيأت للمسلمين فرصة للتخلص من القبائل اليهودية فى شمال بلاد العـــرب ولنشر نفوذهم بين القبائل المحيطة بمكة .
ـ ٦ ـ	**بين مكة ودومة :** (أ) سرية خالد بن الوليد (الاولى) (ب) سرية عمرو (ج) سرية سعد (د) سرية خالد بن الوليد (الثانية) (هـ) غزوة حنين (و) سرية عيينة بن حصن (ز) سرية قطبة بن عامر (ح) سرية ضحاك بن سفيان (ط) سرية عبد الله بن حذافة (ى) سرية بنى طى (ك) غزوة تبوك (ل) سرية دومة الجندل	**هذه هى آخر مرحلة من مراحل العمليات** وقد شملت الفترة من الثامن من رمضـــان الى التاسع من ربيع الاول . وبانتهـــاء هذه الفترة أصبحت بلاد العرب كلها خاضعة للنفـــوذ الدينى والزمنى لنبى الاســـلام صلوات الله عليه وسلامه . وحدث فى هذه الفترة اختبار مبدئى للعضلات والقـــدرات بين مسلمى بلاد العرب والرومان فى الشام وذلك فى معركة مؤته وتبـــوك وفى معركة حنين التى دارت رحاها بالقرب من مكة ، منى المسلمون بنكســـة فى بادىء الامر ولكنهم سرعان ما نهضوا منهـــا وانتصروا فيهـــا .

الملحق الثاني

ماجاء فى القرآن الكريم عن غزوة بدر

١ ـ وصف زحف المسلمين من المدينة المنورة .

« كما اخرجك ربك من بيتك بالحق ، وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون » .

سورة الانفال ـ الايتان ٥ و٦

٢ ـ حول الغرض الالهى من المعركة .

« اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب اسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ، ولكن ليقضى الله امرا كان مفعولا ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة وان الله لسميع عليم » .

سورة الانفال ـ الآية ٤٢

« واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ؛ ليحق الحق ويبطل الباطل ؛ ولو كره المجرمون » .

سورة الانفال ـ الايتان ٧ و ٨

٣ ـ اجمالى السياسة الاسلامية تجاه الذين نكثوا عهودهم .

« الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون . فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون . واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء . ان الله لا يحب الخائنين » .

سورة الانفال ـ الايتان ٥٦ ـ ٥٨

٤ ـ حول سلوك المسلمين أثناء القتال .

« يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون . واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين » .

سورة الانفال الآيتان ٤٥ و ٤٦

٥ ـ حول المشيئة الالهية وانفاذها

« اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الامر ، ولكن الله سلم . انه عليم بذات الصدور . واذ يريكموهم اذ التقيتم فى اعينكم قليلا ؛ ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا ، والى الله ترجع الامور » .

سورة الانفال ـ الآيتان ٤٣ و ٤٤

٦ ـ حول استراتيجية الحرب

« ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون . واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو اللهوعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء فى سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون » .

سورة الانفال ـ الآيتان ٥٩ و ٦٠

٧ ـ حول غرض الحرب

« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير . وان تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير » .

سورة الانفال ـ الايتان ٣٩ و ٤٠

٨ — تأكيد الحاجة الى اعادة السلام فورا

« وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ، انه هو السميع العليم . وان يريدوا ان يخدعوك ، فان حسبك الله هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين . والف بين قلوبهم لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ، ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم » .

سورة الانفال — الآيات ٦١ — ٦٣

٩ — حول فضيلتى الصبر والصمود

« يا أيها النبى ، حرض المؤمنين على القتال . ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون . الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ، فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله ، والله مع الصابرين » .

سورة الانفال — الآيتان ٦٥ و ٦٦

١٠ — حول عون الله ونصره

« اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بألف من الملائكة مردفين . وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم . اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام . اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا . سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان » .

سورة الانفال — الآيات ٩ — ١٢

١١ — عن أسرى الحرب واخذ الفدية

« ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض . تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة . والله عزيز حكيم . ولولا كتاب من الله سبق . لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم . فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا ، واتقوا الله ان الله غفور رحيم » .

سورة الانفال — الآيات ٦٧ — ٦٩

١٢ — حول الأنفال (غنائم الحرب)

« يسألونك عن الانفال ، قل الانفال لله والرسول . فاتقوا الله ، واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين » .

سورة الانفال — الآية الاولى

١٣ — مخاطبا الكفار بعد هزيمتهم

« ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ، وان تنتهوا فهو خير لكم . وان تعودوا نعد ، ولن تغنى عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت ، وان الله مع المؤمنين » .

سورة الانفال — الآية ١٩

١٤ — حول يد الله فى المعركة

« فلم تقتلوهم . ولكن الله قتلهم ، وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى . وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله

سميع عليم . ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين » .

سورة الآنفال — الآيتان ١٧ و ١٨

١٥ — حول دور الشيطان ومسلكه

واذ زين لهم الشـــيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس ، واني جار لكم ، فلمـــا تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني برىء منكم اني أرى ما لا ترون اني أخاف اللـــه والله شديد العقاب .

سورة الانفال — الآية ٤٨

١٦ — نصيحة للمؤمنين بأن يتحدوا ويؤلفوا صفوفهم

والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير .

سورة الانفال — الآية ٧٣

١٧ — حـــول اثر العـــون الالهى للمؤمنين

« يا أيها النبى ، حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » .

سورة الآنفال — الآية ٦٤

الملحق الثالث

معركة أحد - دراسة تحليلية

رقم	التاريخ والوقت	تصرفات قريش	تصرفات المسلمين	ملاحظات
١	١١ من مارس ٦٢٥ م	خرجت قريش من مكة بصحبة [illegible] ، المجاورة رغبة فى القضاء على الجماعة الاسلامية فى المدينة .		كان قوام العدو ما جملته ٣٠٠٠ رجل مجهزين تجهيزا حسنا ، منهم ٧٠٠ يرتدون ملابس الرسل الذين ينقلون الرسائل . وكان معهم ٣٠٠٠ جمل وقوة من الفرسان على ٢٠٠ جواد وكان يقود جيش قريش أبو سفيان .
٢	١١ — ٢٠ من مارس	أ — الزحف ببطء صوب المدينة . ب — فى يوم ٢٠ مارس عسكرت قريش على مسافة من المدينة .	نقل واحد من العسس الى النبى صلوات الله عليه وسلامه معلومات عن قوة العدو وموقعه .	
٣	٢١ من مارس	بعث أبو سفيان برسالة الى الانصار حثهم فيها على سحب تاييدهم للمهاجرين وقال رسول قريش للانصار ان المكيين لا يرون مسوغا لشن حرب على المدنيين الا بسبب تاييدهم لمحمد.	رفض الانصار اقتراح قريش بازدراء .	

رقم	التاريخ والوقت	تصرفات قريش	تصرفات المسلمين	ملاحظات
٤	٢٢ من مارس (صباحا)	عسكرت قريش بالقرب من احد وتاهبت للمعركة المقبلة .	أ – انعقد مجلس الحرب لتقرير ساحة المعركة التى اختارها المسلمون . ب – اعرب رسول الله وعبد الله بن ابى القائد اليهودى المتحالف مع المسلمين وبعض شيوخ المسلمين عن تفضيلهم للقتال من داخل المدينة . جـ – آثر فتية المسلمين ولا سيما الذين لم يسبق لهم الاشتراك فى غزوة بدر ان يحاربوا العدو خارج المدينة . د – لما كان الفتية هم الاغلبية ، فقد تحقق لهم ما ارادوا وتقرر محاربة قريش من احد على بعد ثلاثة أميال من المدينة .	أ – تحولت المدينة تحت حكم اليهود الى قلعة اذا احتلتها قوة مدافعة كان ذلك لمصلحتها القصوى . ب – كان أهل المدينة المسلمون يفضلون على وجه التحديد القتال من داخل المدينة وقالوا لرسول الله انه لم يسبق لغاز ، حتى قبل الاسلام، ان تغلب عليهم كلما ارتضوا الحصار المفروض عليهم .

رقم	التاريخ والوقت	تصرفات قريش	تصرفات المسلمين	ملاحظـــات
٥	٢٢ من مارس (بعد الظهر)	**الاستعداد للمعركة ، وقد عم معسكر قريش شعور هو مزيج من الفرح والثقة .**	بعد صلاة الجمعة تحرك الف رجل الى أحد منهم ٣٠٠ من اليهود بقيادة عبد الله ابن ابى اليهودى .	**كان اليهود ملزمين بموجب معاهدتهم بأن يحاربوا مع المسلمين جنبا الى جنب اذا غزا عدو المدينة .**
٦	مساء ـــ ٢٣ من مارس	**لم يطرأ أمر هام عدا الاستعداد للمعركة .**	قضاء الليل فى موضع يقال له شوط يقع فى منتصف الطريق بين أحد والمدينة .	
٨	٢٣ من مارس	**الاستعداد للتحرك الى ساحة القتال .**	(أ) الاستيقاظ مبكرا والتأهب للزحف الى ساحة القتال . (ب) قبل الزحف ، هجر المعسكر عبد الله بن ابى اليهودى ومعه جماعته العسكرية المؤلفة من ٣٠٠ رجل بدعوى أن نصيحته الخاصة بالدفاع من داخل المدينة لم يأخذ النبى بها . (ج) بعد هرب اليهود	**(أ) قبل الزحف ، راجع الفتية ، وهم الاغلبية ، انفسهم وطلبوا من النبى العودة الى المدينة والمقاتلة من داخلها ولكن النبى أبى أن يغير ما قرره . (ب) لا يستبعد أن تكون الاغلبية قد فطنت الى هذا الامر قبل مغادرة المدينة بيوم . (ج) وفى هذا الوقت، كان جيش المسلمين قد عانى من ثلاث نكسات**

الرقم	التاريخ والوقت	تصرفات قريش	تصرفات المسلمين	ملاحظات
			طرا لقبيلتي بني سلمى وبنى حارثة المسلمتين ان تهربا ، ولكنهما عدلتا عن هذا التفكير . (د) خاطب الرسول المسلمين مستنفرا اياهم للقتال باستبسال وتفان كاملين . (هـ) بالنظر الى تفوقهم فى معرفة المنطقة اتجهوا الى ساحة القتال دون ان تلاحظ قريش ذلك .	نفسيه ، هي : ١ — شعور الاغلبية بالذنب لما أصرت عليه من القتال خارج المدينة. ٢ — هرب اليهود . ٣ — احتمال هرب قبيلتين مسلمتين .
٨	٢٣ من مارس (صباحا) .	**نظموا صفوفهم تأهبا للمعركة ، واسندوا قيادة فرسانهم الى خالد بن الوليد يساعده عكرمة بن أبى جهل .**	نظموا صفوفهم تأهبا للمعركة ووضعوا خمسين من رماة النبال بقيادة عبد الله بن جابر على شعب من الجبل تطل على الجناح المكشوف . وأمر النبى الرماة بألا يتخلوا عن مواقعهم تحت أى ظرف .	

رقم	التاريخ والوقت	تصرفات قريش	تصرفات المسلمين	ملاحظات
٩	٢٣ من مارس بين الساعة الثامنة صباحا والساعة الثالثة مساء	بدأت المعركة . وبرز من قريش ثمانية محاربين ، الواحد بعد الآخر وأخذوا يتحدون المسلمين بأن ينازلوهم فى معارك فردية .	قتل المسلمون جميع الذين خرجوا يتحدونهم من قريش اذ قتل على ثمانية ، وقتل حمزة اثنين .	بدأت المعركة فى الصباح واستمرت الى ما بعد الظهر ومن العسير تحديد الوقت المحدد الذى جرت فيه كل حادثة ، غير اننا قد بذلنا كل جهد ممكن لاثباتها بترتيب وقوعها.
١٠	٢٣ من مارس	بعد اخفاقهم فى مبارزة المسلمين تقدموا لمواجهتهم .	اشتركوا مع قريش فى قتال شامل .	الموقف بين كر وفر وساحة القتال تمثل صورة مضطربة للمعركة .
١١	٢٣ من مارس	اخفقوا فى احداث اى ثغرة فى صفوف المسلمين .	حاربت الجيوش الاسلامية بما عرف عنها من حماسة واصرار وشنت على قريش حملات عنيدة سفك فيها كثير من الدماء . واعتصم رماة النبال بمواقعهم وردوا هجمات متكررة من فرسان العدو .	

رقم	التاريخ والوقت	تصرفات قريش	تصرفات المسلمين	ملاحظات
١٢	٢٣ من مارس	لم يقووا على مجابهة المسلمين فبدأوا يتقهقرون تحت ضغط .	استمروا يشدون النكير على العدو بمنتهى الحماسة والاصرار .	(أ) يقول جلوب باشا : « ها قد تكررت معركة بدر ، والمسلمون لا يقهرون » . (ب) يقول وات : « انسحبت القوات المكية أمام هجوم المسلمين ، بل لعلها هربت » .
١٣	٢٣ من مارس	فشلت قريش فى اظهار أى مقاومة ذات بال أمام المسلمين ، وتجلت فى انسحابهم مظاهر التحول الى فوضى .	اما وقد كادوا يغلبون قريشا ، فقد خضعوا لاغراء السلب والنهب ولما رآهم رماة النبال يتصرفون على هذا النحو سولت لهم نفوسهم ان يتركوا مواقعهم وينضموا اليهم . أقنعهم قائدهم بالا يتخذوا هذه الخطوة المحفوفة بالمخاطر . ودار بينهم نقاش . هل يتركون مواقعهم أم لا ؟	

رقم	التاريخ والوقت	تصرفات قريش	تصرفات المسلمين	ملاحظات
١٤	٢٣ من مارس	اصبح جيش قريش فى شبه ذعر واوشك على الشروع فى الانسحاب .	قرر ٤٣ من رماة النبال الخمسين ترك مواقعهم والانضمام الى اعمال السلب .	
١٥	٢٣ من مارس	رأى خالد الشعب خالية فبادر الى احتلالها .	قاتل رماة النبال السبعة الباقون ببسالة، ولكنهم غلبوا وقتلوا .	
١٦	٢٣ من مارس	أما وقد صارت الشعب فى أيدى خالد ، فقد اقدم على مهاجمة جيش المسلمين من الجنب والخلف . وعندما رأى القرشيون المنسحبون هذا المنظر المدهش ، استردوا قواهم وبدأوا يعيدون ترتيب صفوفهم .	اصيب المسلمون [illegible] ودهشة عندما علموا أن الشعب صارت فى ايدى العدو وانهم هوجموا من الجنب والخلف . وغير الجنود مواقعهم من العمق الى الامام لمواجهة خالد .	
١٧	٢٣ من مارس	عقب هجوم خالد الناجح استردت قوات قريش شجاعتها ، وفى حركة مسرحية كرت كرات ناجحة على جبهة المسلمين .	أدى الهجوم على شكل كماشة الى كثير من الاضطراب فى صفوف المسلمين . وانقسم الجيش وكادت قياداته تتفرق وتهتز .	

رقم	التاريخ والوقت	تصرفات قريش	تصرفات المسلمين	ملاحظـــات
١٨	٢٣ من مارس	شدد جيش قريش هجومه على شكل كماشة .	استولت على جيش المسلمين حالة اضطراب كامل . وشوهد بعض الجنود المسلمين وهم يهربون من ساحة القتال .	بعد النكسات النفسية الثلاث التى تعرض لها المسلمون قبل تحركهم الى ساحة القتال فى الصباح جاء هذا التطور الجديد فكان لهم ((صدمة)) رابعة .
١٩	٢٣ من مارس	صاح رجل من بين صفوف قريش قائلا أن محمدا قد قتل ، وانتشر الخبر بسرعة وهلل له اهل قريش فنشطوا للقتال باشد حماسة .	اختلف شعور المسلمين بالنسبة للاشاعة . فبعضهم اصيب بالذعر وترك الميدان وصاح انس بن النضر فى وجوه المذعورين قائلا : فما تصنعون بالحياة بعد . قوموا فموتوا على ما مات عليه وظل انس يقاتل العدو حتى سقط وفى جسمه سبعون جرحا شريفا وقد تبين ان عدد الذى استولى الذعر عليهم رجح عدد الذين تماسكوا .	هذه هى الصدمة النفسية الخامسة التى اصابت المسلمين .

رقم	التاريخ والوقت	تصرفات قريش	تصرفات المسلمين	ملاحظات
٢٠	٢٣ من مارس	**مضت قريش تشن هجماتها على المسلمين فى كل اتجاه .**	اعتصم معظم المسلمين الفارين بالمنحدرات الصخرية لسلسلة جبال احد من ورائهم . وسمع صوت الرسول ينادى المذعورين قائلا : « التفوا حولى يا رجال الله » ، ولكن نداءه ذهب أدراج الرياح . وان كانت فئة صغيرة من المسلمين ظلت تحارب مع الرسول وهى صامدة .	**فى هذا الوقت كان ستون من المسلمين قد سقطوا قتلى فى ساحة المعركة ، واصيب عدد غير قليل منهم ، وفرت غالبية الباقين من ميدان القتال .**
٢١	٢٣ من مارس	**لم يطرأ تغيير فى الموقف .**	استدل كعب بن مالك وهو من المقاتلين المسلمين على رسول الله وصاح فى المسلمين انه حى . فاشار النبى اليه ليسكت .	

رقم	التاريخ والوقت	تصرفات قريش	تصرفات المسلمين	ملاحظات
٢٢	٢٣ من مارس	عثرت قوة من قريش على مكان النبى ، فبدأت تطلق النبال وتضيق عليه الخناق رغبة فى قتله .	دافع جنود المسلمين عن رسول الله ، واظهروا شجاعة وتضحية فائقتين فى الذياد عن قائدهم .	
٢٣	٢٣ من مارس	نجح ابن القايمة ، قائد احدى فرق الضرب القريشية فى اصابة النبى بجراح واعلن فى اغتباط انه قتل محمدا . فعمت قريش موجة فرح شملت جميع صفوفها .	جرح النبى وسقط على الارض وتولى المقاتلون المسلمون حراسته للحيلولة دون تجديد اعتداءات قريش .	(أ) لم يعرف بأصابة النبى الا قليل من المسلمين عدا الذين كانوا معه . وكان آخر ما سمعوه فى هذا الشان هو الاشاعة السابقة عن مقتل الرسول . (ب) ادى الخبر الذى اذاعه ابن القايمة عن الوفاة المؤكدة للنبى الى حالة استرخاء فى هجمات قريش .
٢٤	٢٣ من مارس	عم الفرح قريش لانباء وفاة النبى صلى الله عليه وسلم .	حمل المسلمون قائدهم المصاب ونقلوه الى الجانب الصخرى من أحد حيث احتمى فى تجويف فيه .	(أ) انشغلت قريش بالتمثيل بجثث المسلمين الذين قتلوا فى المعركة . (ب) هذه هى الصدمة النفسية السادسة التى أصابت المسلمين .

رقم	التاريخ والوقت	تصرفات قريش	تصرفات المسلمين	ملاحظات
٢٥	٢٣ من مارس	برز مقاتل من قريش للذين مع النبى وتحداهم فى مبارزة ، واسم هذا المقاتل ابن خلف .	قبل الرسول التحدى، واستعار سيفا من احد ابناء حارثة واصابه بجرح وفى نفس اليوم مات ابن خلف .	
٢٦	٢٣ من مارس	اقترب أبو سفيان من شعب جبل أحد ولكن المسلمين اعترضوا سبيله . واعترته صدمة عندما عرف ان الرسول حى . فصلى اللات والعزى وتحدى المسلمين فى معركة أخرى فى بدر فى السنة التالية .	امر الرسول عمر الفاروق بأن يقبل التحدى .	حسب الوعد ، جرد الرسول فرقة حربية توجهت الى بدر فى العام التالى ، ولكن أبا سفيان لم يظهر هناك .
٢٧	٢٣ من مارس	عاد ابو سفيان الى معسكره دون ان يطلب دخول حرب مع المسلمين . وشرع القريشيون ينقضون خيامهم .	(أ) ارسل النبى جماعة صغيرة بقيادة على لمراقبة نشاط قريش . (ب) صدرت الاوامر الى المسلمين بأن يتأهبوا لمنازلة قريش مرة اخرى اذا قررت غزو المدينة (ج) تأهب جيش المسلمين لهذا الاحتمال.	أكدت جماعة الرسول ان قريشا متجهة الى مكة .

رقم	التاريخ والوقت	تصرفات قريش	تصرفات المسلمين	ملاحظات
٢٨	ليلة ٢٣ ـ ٢٤ من مارس .	وصلت قريش الى موضع يقال له حمراء الاسد على بعد ثمانية اميال من المدينة وعسكرت هناك للمبيت .	تأمل الرسول الموقف وقرر أن قريشا ، وان كانت قد حققت نصرا عسكريا ، الا انها لم تحقق هدفها السياسى فى القضاء على المسلمين . واستنتج ان قريشا قد تراجع نفسها حول هذا الأمر وتعود الى مهاجمة المدينة . ومن ثم أصدر اوامره الى جميع المسلمين الذين تحت قيادته بأن يطاردوا « قريشا » فى صباح اليوم التالى .	

رقم	التاريخ والوقت	تصرفات قريش	تصرفات المسلمين	ملاحظات
٢٩	٢٤ من مارس	صدق ظن النبى ، اذ أن قريشا عقدت مجلس حرب ليقرر هل تعود الى فتح المدينة أو لا . وكان من رأى بعض أعيان قريش ان يعودوا الى غزو المدينة واحتلالها .	فى سرعة خاطفة ظهر النبى والمسلمين حول حمراء الاسد .	(أ) ما ان علمت قريش بقوة المسلمين حتى تراجعت بسرعة وهكذا انتهت معركة أحد . (ب) بهزيمة المسلمين فى احد ، ظن العدو خطأ ان الاسلام فى طريقه الى الزوال . ومن هنا اجتمع رأى المسلمين على محاولة القضاء على العدو نهائيا . ومما هو جدير بالذكر ان النبى صلوات الله عليه وسلامه قد حرص ، بالرغم من الموقف العسير الذى صادف المسلمين ، على الا يدع زمام المبادرة ينتقل الى خصومه أبدا . وظل عامين بعد ذلك ، وحتى هزيمة قريش فى الخندق ، يناضل فى سبيل ابقاء الزمام فى يده .

الملحق الرابع

تحليل القرآن الكريم لمعركة أحد

١ — حول النزاع الخاص باختيار ساحة القتال :

« وشاورهم فى الامر ، فاذا عزمت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين . ان ينصركم الله فلا غالب لكم . وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده . وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

آل عمران — الآيتان ١٥٩ — ١٦٠

٢ — حول التدبر فى جبن بنى سلمى وبنى حارثة

« اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون . ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة ، فاتقوا الله لعلكم تشكرون » .

آل عمران — الآيتان ١٢٢ — ١٢٣

٣ — أشارة الى خطاب الرسول بعد هرب اليهود :

« اذ نقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين . وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم . ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين » .

آل عمران — الآيات ١٢٤ — ١٢٧

٤ — حول البلبلة الناشئة عن شهوة البدن :

« اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم ، والله خبير بما تعملون » .

آل عمران — الآية ١٥٣

٥ — بالاشارة الى الشائعات حول موت الرسول :

« وما محمد الا رسول قد خلت فى قبله الرسل . أفان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين . وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا . ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ، وسنجزى الشاكرين » .

آل عمران — الآيتان ١٤٤ — ١٤٥

٦ — حول الكارثة الناشئة عن الهجوم المضاد من جانب قريش :

« وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين . وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ، والله يحب المحسنين » .

آل عمران — الآيتان ١٤٦ — ١٤٨

« ولا تهنوا ، ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين . ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الايام نداولها بين الناس، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم

شهداء ، والله لا يحب الظالمين . وليمحص الله الذين امنوا ، ويمحق الكافرين » .

آل عمران — الآيتان ١٣٩ — ١٤١

٧ — مخاطبا الذين فزعوا من عمل العدو :

« ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون . ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون » .

آل عمران — الآيتان ١٥٧ و ١٥٨

« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

آل عمران — الآيتان ١٦٩ و ١٧٠

٨ — مخاطبا الفئة الكبيرة :

« أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين . ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه ، فقد رأيتموه وأنتم تنظرون » .

آل عمران — الآيتان ١٤٢ و ١٤٣

٩ — حول أسباب هزيمة المسلمين :

« ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استذلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور رحيم .

آل عمران — الآية ١٥٥

« أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند أنفسكم أن الله على كل شيء قدير » .

آل عمران — الآية ١٦٥

« وما اصابكم يوم التقى الجمعان، فباذن الله وليعلم المؤمنين » .

آل عمران — الآية ١٦٦

« ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون . منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين » .

آل عمران — الآية ١٥٢

١٠ — حول المشيئة الالهية وتحقيقها :

« ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم . يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية . يقولون هل لنا من الأمر من شيء . قل ان الأمر كله لله . يخفون فى أنفسهم ما لا يبدون لك . يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا ، قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم . وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم ، والله عليم بذات الصدور » .

آل عمران — الآية ١٥٤

١١ — حول الذين طاردوا أباسفيان فى اليوم التالى لأحد :

« الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم .

الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » .

آل عمران الآيتان ١٧٢ — ١٧٣

١٢ — حول دعاية العدو بعد المعركة :

« يا أيها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين » .

آل عمران — الآية ١٤٩

١٣ — حول المستقبل

« ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب » .

آل عمران — الآية ١٧٩

« سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين » .

آل عمران — الآية ١٥١

الملحق الخامس

ماجاء في القرآن الكريم عن واقعة الخندق

١ ــ حول حصار المدينة وأثره :

« اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا » .

سورة الاحزاب ــ الآيتان ١٠ و ١١

٢ ــ حول نعمة الله للمسلمين :

« يا أيها الذين آمنوا ، اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ، وكان الله بما تعملون بصيرا » .

سورة الاحزاب ــ الآية التاسعة

٣ ــ حول موقف المنافقين وسلوكهم :

« واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا . واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ، ويستأذن فريق منهم النبى يقولون ان بيوتنا عورة وما هى بعورة ان يريدون الا فرارا . ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا . ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار ، وكان عهد الله مسئولا » .

سورة الاحزاب ــ الآيتان ١٢ ــ ١٥

٤ ــ حول حتمية الموت :

« قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل ، واذا لا تمتعون الا قليلا » .

سورة الاحزاب ــ الآية ١٦

٥ ــ حل عقاب الله ورحمته :

« قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا أو اراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا » .

سورة الاحزاب ــ الآية ١٧

٦ ــ تحليل نفسية المنافقين :

« قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا . اشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت ، فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فاحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا . يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وأن يأت الاحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الاعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا » .

سورة الاحزاب ــ الآيات ١٨ ــ ٢٠

٧ ــ حول نفسية المؤمنين :

« ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله . وما زادهم الا ايمانا وتسليما . من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا . ليجزى الله

الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين أن شاء أو يتوب عليهم ان اللـــه كان غفورا رحيما » .

سورة الاحزاب ــ الآيات ــ ٢٢ ــ ٢٤

٨ ــ اشارة الى مصير الكفار :

« ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا . وأنزل الذين ظاهروهـــم من أهل الكتاب مـــن صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلـــون وتأسرون فريقـــا . وأورثكم ارضهم وديارهم وأموالهـم وأرضا لم تطئوها ، وكان الله على كل شيء قديرا » .

سورة الاحزاب ــ الآيات ٢٥ ــ ٢٧

٩ ــ حـــول شخصـــية الرســـول صلى الله عليه وسلم :

« لقد كان لكم فى رسول اللـــــه أســـوة حسنة لمن كان يرجو اللـــه واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » .

سورة الاحزاب ــ الآية ٢١

الملحق السادس

حكم الله عن معركة الحديبية

١ ــ حول معاهدة الحديبية :

« انا فتحنا لك فتحا مبينا . ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما . وينصرك الله نصرا عزيزا » .

سورة الفتح ــ الآيات ١ ــ ٣

٢ ــ حول نعمة الله على المؤمنين :

« هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ؛ ولله جنود السموات والارض ، وكان الله عليما حكيما . ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ؛ ويكفر عنهم سيئاتهم . وكان ذلك عند الله فوزا عظيما » .

سورة الفتح ــ الآيتان ٤ و ٥

« اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية : حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزمهم كلمة التقوى ؛ وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شىء عليما » .

سورة الفتح ــ الآية ٢٦

٣ ــ حول عقوبة المنافقين والمشركين :

« ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا » .

سورة الفتح ــ الآية السادسة

٤ ــ حول وعدالله بالثواب العظيم :

« ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله . يد الله فوق أيديهم . فمن نكث، فانما ينكث على نفسه . ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما » .

« لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة ؛ فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا » .

سورة الفتح ــ الآيتان ١٠ و ١٨

٥ ــ حول تحقيق رؤيا الرسول :

« لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام أن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون . فعلم ما لم تعلموا ، فجعل من دون ذلك فتحا قريبا » .

سورة الفتح ــ الآية ٢٧

٦ ــ حول الرسول الكريم وصحبه :

« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار ، رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا . سيماهم فى وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه، يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار . وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما » .

سورة الفتح ــ الآية ٢٩

الملحق السابع

ما نزل في القرآن الكريم عن تبوك

١ ــ حول الذين لم يطيعوا الأمر بالقتــال :

« يا أيها الذين آمنوا . مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة . فما متاع الحيــــاة الدنيافى الآخرة الا قليل . الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قومـــا غيركم ، ولا تضروه شيئا والله على كل شىء قدير » .

سورة التوبة ــ الآيتان ٣٨ و ٣٩

٢ ــ حول نصر الله وعونه :

« الا تنصروره فقد نصره اللـــه اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار ، اذ يقول لصاحبــــه لا تحزن ان الله معنا ، فأنزل اللـــه سكينته عليه وايده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا الســـفلى وكلمة الله هى العليا . والله عــزيز حكيم » .

سورة التوبة ــ الآية الاربعون

٣ ــ حول الاعفاء من القتال :

« عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صـــــــدقوا وتعلم الكاذبين » .

سورة التوبة ــ الآية ٤٣

« لا يستئذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا بأموالهـــم وأنفسهم والله عليم بالمتقين » .

سورة التوبة ــ الآية ٤٤

« انما يستئذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون » .

سورة التوبة ــ الآية ٤٥

« ولو أرادوا الخروج لاعدوا له عدة ، ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين » .

سورة التوبة ــ الآية ٤٦

« لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضـــــعوا خلالكم يبغونكم الفتنة ، وفيكم سماعون لهم واللـــــه عليم بالظالمين » .

سورة التوبة ــ الآية ٤٧

« لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون . ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين » .

سورة التوبة ــ الآيتان ٤٨ و ٤٩

« ليس على الضعفاء ولا عـــلى المرضى ولا على الذين لا يجدون مـــا ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله، ما على المحسنين من سبيل واللـــه غفور رحيم » .

سورة التوبة ــ الآية ٩١

« ولا على الذين اذا مـــــا أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما احملكم عليـــه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون » .

سورة التوبة ــ الآية ٩٢

« انما الســــــبيل على الذين يستئذنونك وهم أغنياء رضـــوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون » .

سورة التوبة ــ الآية ٩٣

٤ ــ حول القــرار الالهى بالنسبة للذين لم ينفروا للحرب :

« فرح المخلفون بمقعدهم خــلاف رسول الله ، وكرهوا ان يجاهــدوا بأموالهم وانفسهم فى سبيل الله ، وقالوا لا تنفروا فى الحر ، قل نــــار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون . فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون » .

سورة التوبة ــ الآيتان ٨١ و ٨٢

« فان رجعك الله الى طائفـــــة منهم فاستأذنوك للخروج ، فقـــل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا . انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين » .

سورة التوبة ــ الآية ٨٣

« ولا تصل على أحد منهم مــات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فتسعوى » .

سورة التوبة ــ الآية ٨٤

« ولا تعجبك أموالهم واولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون » .

سورة التوبة ــ الآية ٨٥

« واذا انزلت سورة أن آمنــوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أو لو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين . رضوا بأن يكونوا مــــع الخوالف وطبع على قلوبهم فهــــم لا يفقهون .

سورة التوبة ــ الآيتان ٨٦ و ٨٧

٥ ــ حول الوعد الالهى للمؤمنين :

« ان الله اشترى مـــن المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنـــــة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من اللــــــه فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم » .

سورة التوبة ــ الآية ١١١



الفصل العاشر

* « استقبال الموت خير من استدباره » .

مجمل النتائج الهامة



السنوات الاثنتى عشرة الأولى لبعثة النبى محمد فى مكة ، لـم يكن المسلمين قد صاروا أمة ، ولا كان مأذونا لهم أن يلجأوا الى الحرب • فلما هاجروا الى المدينة ، نزل الوحى بأنهم أمـة ، وتحولت قبلتهم الى الكعبة فى مكة بدلا من المسجد الاقصى فى بيت المقدس • وبعيد اعلان المسلمين أمة ، صـدر الامر الى المؤمنين بأن ينتضوا السلاح ضد الكفار •

وقد أكدت الرسالة المعهود بها الى أمة المسلمين ، بأن عليهـا ان تتـوخى العدالة والفضيلة والاعتدال ، وان تكون عملية وشاملة فى نهوضها بهـذه الرسالة كما تضمنت الرسالة ارساء أسس الفلسفات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية للدولة الجديدة ، وكذلك الأسس المقررة لسياستها واستراتيجيتها • كما نزل الوحى بطائفة من الآيات الخاصة بسياسة الدولة الجديدة ، ومن ذلـك أن القرآن الكريم وهو يشرح فلسفة الحرب ، أوضح للمسلمين أسبابها وغرضها وطبيعتها وخصائصها وابعادها وأخلاقياتها • بل ان كتاب الله نص كذلك عـلى فكرة الاستراتيجية العسكرية ووضع قواعدها المتميـزة والمبادىء التى تدار الحروب عـلى أساسها •

ويقول ادوارد ميدايرل « ان الحرب ليست قضاء وقدرا ، وانما تنشـأ الحرب مما يعمله الناس والساسة والأمم أو مما يتخلفون عن عمله » • ونظرية ايرل هذه تمثل التفكير التقليدى حول هذا الموضوع تمثيلا كاملا • غير ان الفكر القرآنى حول الحرب يختلف عن هذا الرأى اختلافا تاما • اذ ينص كتـاب اللـه على أن دخول الحرب لا يكون الا فى سبيل الله ، فتخضع الحرب « لكلمة الله »

وتتكيف وفقا لها من بدئها الى ختامها •

والفلسفة القرآنية الخاصة بموضوع الحرب هى جزء من الفكر القرآنى مندمج فيه اندماجا كاملا • وهذا الفكر القرآنى يحدد الأوضاع والاحوال اللازمة لتطبيق هذه الفلسفة واعمالها • وبتهيئة هذه الأوضاع والأحوال تصبح الفلسفة فعالة الى أقصى حد . فان غابت هذه الأوضاع والأحوال . فقدت الفلسفة كثيرا من جدواها الآمرة • وربما اصبحت عديمة الاثر تماما •

والقرآن الكريم اذ يعالج موضوع الحرب لا يأخذ بالنظرة الضيقة . ولايتحيز لجانب واحد ، لأن أسباب الحرب ونتائجها تهم الجنس البشرى كله • ومن مقتضى ماورد فى كتاب الله أن الحرب تشن لانهاء القهر وتحقيق أوضاع يسودها العدل والسلم على الفور • والقرآن الكريم يرسم منهجا عمليا قابلا للتطبيق لتحقيق هذا الهدف ؛ وهو منهج متحرر يستند الى قاعدة عريضة • وبمقتضى هذا المنهج يعطى المناوئون الحد الأقصى من الأسباب للتعاون فى سبيل اقرار السلم • فمتى اذن بالحرب ؛ فهدفها هو صون كرامة الانسان وقيمه وتعزيز هذه الكرامة والقيم ، وليس هدفها القضاء عليها •

و « **الجهاد** » هو النظرية القرآنية للاستراتيجية الشاملة ، وهو يتطلب تهيئة جميع أسباب القوة الوطنية واستخدامها بكاملها • وما الأداة العسكرية الا عنصر واحد من عناصر هذه القوة الوطنية • أما الاستراتيجية العسكرية ، وهى واحد من مكونات الاستراتيجية الشاملة الكاملة ؛ فتهدف الى القاء الرعب فى قلوب العدو منذ مرحلة التأهب للحرب ، مع تحصين المؤمنين تحصينا فعالا ضد أى رعب يلقيه العدو فى قلوبهم • ويستطيع الجهاد ؛ فى أكثر الظروف مواتاه ومثالية ، أن يصنع قرارا معينا ، وأن يفرض على العدو مشيئته ، فان عز عليه تحقيق ذلك ، تولت الاستراتيجية العسكرية الامر وهدفها هو ان تصنع القرار منذ مرحلة التأهب والاستعداد • فان أفلتت الفرصة ؛ وجب القاء الرعب فى قلوب العدو والحرب دائرة الرحى • على ان الاستراتيجية العسكرية انما تعمل فى جميع المراحل باعتبارها جزءا لا يتجزأ من الاستراتيجية الكاملة

الشاملة ، وليس باعتبارها جزءا منفصلا عنها • وعندئذ ، وعندئذ فقط ، يتــأتى لهذه الاستراتيجية أن تحقق هدفها المرسوم •

والفلسفة القرآنية فى موضوع الحرب ما اغناها بالقيـــم والاعتبـــارات الانسانية • فالقرآن الكريم ينهى المسلمين عن تجاوز الحدود الالهية المقررة عند ادارتهم للحرب ، وينهاهم كذلك عن اقتراف الأعمال الوحشية أو غير الانسانية كالتى كانت تقترف فى الحروب أيام الجاهلية • ولئن كان القرآن الكريم قد سمح للمؤمنين بأن يلتزموا قواعد الانصاف والمعاملة بالمثل فى معاملة الأعداء ، فقد حرص فى جميع الأوقات على أن يسدى المؤمنين النصح بايثار التسامح وضبط النفس•

وفى نطاق الاهداف والحدود التى قررها القرآن الكريم ، من غير المتصور قيام حـــرب يخوض المؤمنون غمارها وأيديهم فى قفازات تقيها الاتســـاخ فنظرية الحرب الكاملة الشاملة كما وردت فى كتاب الله تتطلب من الأمـــة والفرد أن يخوضوها قلبا وقالبا وبكل قواهم . وبكـــل ما تحت أيديهم من مصـــادر القوة الروحية والمعنوية والمادية • والقرآن الكريم يؤكد بصريح اللفظ أن الحرب ينبغى التأهب لها والاســتعداد لخوضــها . وينتظر منا أن نعد لهـــا ما استطعنا وخير معيار لهــذه الاستطاعة هو قدرتنـــا عـــلى القـــاء الـــرعب فى قلـــــوب الأعــــــداء •

والقدرة على القاء الرعب فى قلوب العدو ، وكذلك القدرة على مقاومـــة محاولات الارهاب من جانب العدو انما يرتبطان فى آخر المطاف بقـــوة ايماننا • ولو طبقت أبعاد الحرب بكاملها كما وردت فى القرآن الكريم ، لوجدناها تحرص على حمـــاية جيوش المســـلمين حمـــاية تامة من أن تتعرض لانهيـــار نفسى ، لأن من شأن ضعف ايماننا ان يهىء للعدو ثغرة ينفذ منها الينا ويشـــن حـــربه النفسية علينا ، فاذا التوفيق حليفه • واســـتنادا الى قـــوة ايماننـــا وضـــعف ايمان عدونا نستطيع أن نرسم الخطط ونعين الخطوات المحسوب حسابها لالقـــاء الرعب فى قلوب الأعداء •

ولابد من شـــن الحرب بجمع أنفسنا وأموالنا وقوتنا وعزيمتنا • ولابد

للقرارات الخاصة بالحرب من أن تتخذ بعد مشاورات مسهبة مكثفة • ومتى حددنا هدفا للحرب ، وجب أن نجعل هـذا الهدف مقدما على كل ما عداه ، وأن نسعى الى تحقيقه بالجهـد المتصـل والكفاح الدؤوب والصـبر والمثابرة والحـزم والصمود والوحدة فى الفكر والعمل والاخلاص والتضحية والطاعـة المباشرة والنظام والقوة والسيطرة والصلاة والتسليم لمشيئة الله •

وأى حرب يخوضها المسلمون فى سبيل الله ، انما تنطـوى عـلى النصر الموعود من الله ، بشرط أن نرتفع الى ما عينه الله العلى العظيم من مستويات ومعايير لشن الحرب • فالله لا يسـاعد الا الذين يساعدون أنفسهم • وهـو لا يوزع بركاته ونعمه على أى جماعة من الناس على سبيل الروتين الرتيب • وفى الحرب يتمثل السبيل الى فرض مشيئتنا على العدو بنفس القدر الذى يتمثل فيـه جهدنا فى اثبات ايماننا الذى لايتزعزع واخلاصنا الذى لايحول •

وفلسفة الحرب فى القرآن الكريم فلسفة الهية من حيث نظريتها الأساسية ، انسانية من حيث تطورها وتطبيقها ، وهى تتألف من عوامل ثابتة وأخرى متغيرة• والقوة الجوهرية لهذه الفلسفة كامنة فى ثباتها ، وهذا بدوره يهىء أسـباب التوجيه والارشاد الكفيلة بتطوير المتغيرات واستخدامها • والثغرة الكامنة فى الفلسفات العسكرية المعاصرة هى قلة ما تحتوى عليه من عـوامل ثابتة ــ ان وجدت ــ وهى العوامل التى تنهض على أساسها النظرية الفلسفية • بـل ان التفكير العسكرى الحديث يفتقر فى جوهره الى الثبات من حيث مبادىء الحرب • أما الفلسفة القرآنية فقادرة فى نطاق عناصرها الثابتة على أن تستوعب قـدرا كبيرا من المتغيرات المتعلقة بالفلسفات الحديثة عن الحرب •

والعامل الثابت الوحيد الذى لايتغير فى الحرب هو العامل الانسانى ، ومن هنـا تـدور جميع الثوابت القرآنية حول هذا العامل • ومن مؤدى الفلسـفة القرآنية للحرب أن كل محارب ، قائدا كان أم جنديا ، يكتسب شخصية ثابتـة مهيمنة تمكنه من استيعاب جميع المعارف الخاصة بالحرب استيعابا عمليـا مجديا، وان يطبق هذه المعارف • وهى تعد الانسان وتدربه بدنيا وعقليا وروحيا لكـى

يتغلب على جميع الأزمات أو الطوارىء فى الحرب • فكتاب الله حريص على ان تنمو المعارف جنبا الى جنب مع نمو الشخصية الانسانية ، فيتحقق بذلك تــوازن جميل متناسق بين الأمرين •

والحملات العسكرية التى خاضها النبى صلوات الله عليه وسلامه ، أو شنها بنفسه هى مؤسسات لتعليم فن الحــرب طبقا لأحكام القرآن الكريم • وقد دل ترادف الزمن على أن هذه المؤسسات اكتسبت مزيدا من الاهمية ولم تفقد شيئا من أهميتها العملية فى تدريبنا وتنميتنا العقلية والروحية • واذا كان عدد الجنــد الذين اشتركوا فى هذه الحرب صغيرا ، واذا كانت طبيعة الاسلحة التى استخدمت فيها بدائية ، يصح أن يضللنا ذلك فنحسب أن هــذه الحروب منبتة الصــلة بعصرنا • ففى كل من هذه الحملات العسكرية اتخذت قرارات وانجزت أعمال لها من الضخامة مالم تعرف الانسانية له مثيلا منذ ذلك الحين ، الا فى القليل •

ونستخلص من هذه الدراسة المحدودة نسبيا التى أجريناها فى هذا الكتــاب حول حروب النبى : أن الهدف السياسى ينبغى ان يتحقق باســــتخدام الأدوات العسكرية والروحية والدبلوماسية استخداما منسقا متجانسا ، وصغار الأعداء يمكن التعامل معهم بأساليب الدبلوماسية ، أما اشداؤهم ، فلابد من مجابتهم بالقـــوة العسكرية ؛ ويحدث كثيرا عند التخطيط للحروب وادارتها أن تتحقق الفائـــدة القصوى من اتباع سياسة اتخاذ قرارات ذات حدود قصوى • والقوة الصغيرة، ان احسنت تطبيق الاعتبارات الخاصة بالجغرافيا السياسية والجغـــــرافيا الاستراتيجية وتوخت فى ذلك الحذق والذكاء ، ففى وســـعها أن تتبنى من السياسات ما يتفوق على السياسات التى يأخذ بها عدو يرجحها قوة وعـــددا • فالايمان هو القوة الرئيسية والحاسمة فى أى جيش محارب •

هذه اذن هى فلسفة الحرب التى تتعالى وتتفوق من جميـــع الجوانب والزوايا • فقضية الحرب هى قضية القتال فى سبيل اللـــه ، انها قضية الضعيف والمضطهد والمقهور والمستضعف • أما هدفها فتحقيق العدل والسلام والايمان ، وهو هدف كفيل بتحقيق القيم الانسانية العليا وصونها والذود عنها وتنميتها • أما

ابعاد الحرب ، فيدخل فى اعتباراتها الغرض الذى توخاه الله العلى العظيم من خلق الانسان ومن تحديد مصيره النهائى • وبفضل هذه الابعاد يعـــد الانســـان نفسه لكى يتغلب على مخاطر الحرب •

وتشتمل الفلسفة الاسلامية على ناموس اخلاقى خاص بمعالجة المشكلات الانسانية الداخلة فى الحرب ، وهو ناموس « غنى » بأخلاقياته ولابد من مراعاته انفاذا لأمر الله • واستراتيجية الحرب الاسلامية تتوغل فى أعماق العدو ، وتحطم ثقته بنفسه ، وتبطل فاعلية قواه البدنية والعقلية ابطالا تاما • ولتحقيق هذه الغاية رسم القرآن الكريم القواعد والمبادىء الخاصة بالحرب والتى تستـــخدم فى أى معركـــة •

وحتى يتسنى لنا أن نظفر بما لا حد له من قوة ونعمة ، فثمة شرط واحـــد مفروض علينا ، هو ان نرتضى كل ما جاء فى كتاب اللـــــه ، ونعمل على تطبيقه بتمامـــه •



الاستشهاد بالآيات القرآنية فى الكتاب
من حيث الموضـــوع

ارقام الآيات

تمهيد :

١	ـ البقرة	٢ ـ ٥ و ٧ و ١٦ و ٢٣
٢	ـ المائدة	١٥ ـ ١٦
٣	ـ الحجر	٩
٤	ـ النحل	٨٩
٥	ـ الاحزاب	٢١ و ٤٥ ـ ٤٦

المنظور التاريخي :

١	ـ البقرة	١٤٣ ـ ١٤٤ ـ و ١٤٩ ـ ١٥٠
٢	ـ آل عمران	١١٠
٣	ـ الروم	٢ ـ ٤
٤	ـ الفيل	١ ـ ٥

اسباب الحرب :

١	ـ البقرة	١٩٠ ـ ١٩١ و ٢١٧ و ٢٤٤
٢	ـ النساء	٧٥ ـ ٧٦ و ٨٤
٣	ـ المائدة	٣٢ و ٦٧
٤	ـ الانعام	١٥١
٥	ـ الانفال	٣٤
٦	التوبة	١٣
٧	ـ الحج	٣٩ ـ ٤١
٨	ـ الفرقان	٦٨ ـ ٦٩
٩	ـ محمد	٧

اهداف الحرب :

١	ـ البقرة	٢٧ و ٤٠ و ١٩٢ ـ ١٩٣
٢	ـ النساء	٨٨ ـ ٩١
٣	ـ الانفال	٣٩ ـ ٤٠ و ٥٦ ـ ٥٨ و ٦١ ـ ٦٢
٤	ـ التوبة	١ ـ ٥ و ٧ ـ ١٢ و ١٧ ـ ١٨ و ٢٨ ـ ٢٩

طبيعة الحرب وابعادها :

١	ـ البقرة	٢٨ و ١٥٤ و ١٥٦ ـ ١٥٧ و ٢١٤ و ٢١٦ و ٢١٨
٢	ـ آل عمران	١٤١ ـ ١٤٢ و ١٥٦ ـ ١٥٧ و ١٦٠ و ١٦٩ ـ ١٧١
٣	ـ النساء	٧٤ و ٧٧ و ٩٥ ـ ٩٦
٤	ـ الانعام	١٦٢
٥	ـ التوبة	٢٤ و ٣٨ ـ ٣٩ و ٨١ ـ ٨٤ و ١١١
٦	ـ الحج	٥٨
٧	ـ الاحزاب	١٦

أرقـــام الآيات

٨ ـ محمـــــد	٧
٩ ـ الفتـــح	٢٢ ـ ٢٣
١٠ ـ الصـــف	١٠ ـ ١٣

اخــلاقيات الحـــرب :

١ ـ البقـــرة	١٩٠ ـ ١٩١ ـ و ١٩٤
٢ ـ محمـــد	٤

اســـتراتيجية الحـــرب :

١ ـ آل عمران	١٢٤ ـ ١٢٦ و ١٥١ و ١٥٣ ـ ١٥٤
٢ ـ الانفـــال	٩ ـ ١٢ و ٥٩ ـ ٦٠
٣ ـ التـــوبة	٢٥ ـ ٢٦
٤ ـ الاحـــزاب	٢٦ ـ ٢٧
٥ ـ الفتـــح	١٤ و ١٨

ادارة الحـــــرب :

١ ـ البقـــرة	١٨٦ و ٢٤٥
٢ ـ آل عمران	١٣٩ ـ ١٤٠ و ١٤٦ و ١٥٩ و ١٧٢ ـ ١٧٣ و ١٩٥ و ٢٠٠
٣ ـ النســـاء	٧١ و ١٠٢ و ١٠٤
٤ ـ الانفـــال	١١ و ١٥ ـ ١٦ و ٤٥ ـ ٤٦ و ٦٣ و ٦٥ و ٦٧
٥ ـ التـــوبة	٥ و ٤١ و ١٢٣
٦ ـ محمـــد	٤ و ٣٥
٧ ـ الفتـــح	٢٩
٨ ـ الصـــف	٤

الفكر العســكرى القرآنى فى التطبيق :

١ ـ آل عمران	١٢٢ ـ ١٢٧ و ١٣٩ ـ ١٤٩ و ١٥١ ١٥٥ و ١٥٧ ـ ١٦٠ و ١٦٥ ـ ١٦٦ و ١٦٩ ـ ١٧٠ و ١٧٢ ـ ١٧٣ و ١٧٩
٢ ـ الانفـــال	١ و ٥ ـ ١٢ و ١٧ ـ ١٩ و ٣٩ ـ ٤٠ ـ ٤٢ ـ ٤٦ و ٤٨ و ٥٦ ـ ٦٩ و ٧٣
٣ ـ التـــوبة	٣٨ ـ ٤٠ و ٤٣ ـ ٤٩ و ٨١ ـ ٨٧ ـ ٩١ ـ ٩٣ و ١١١
٤ ـ الاحـــزاب	٩ ـ ٢٧
٥ ـ الفتـــح	١ ـ ٦ و ١٠ و ١٨ و ٢٦ ـ ٢٧ و ٢٨

الاستشهادات الواردة فى الكتاب
بترتيب السور القرآنية

أرقام الآيات

البقـــرة :

الموضوع	الآيات
١ — تمهيـد	٢ — ٥ ، ٧ ، ١٦ ، ٢٣
٢ — المنظور التاريخى	١٤٣ — ١٤٤ ، ١٤٩ — ١٥٠
٣ — اسباب الحرب	١٩٠ — ١٩١ ، ٢١٧ ، ٢٤٤
٤ — غرض الحرب	٢٧ ، ٤٠ ، ١٩٢ — ١٩٣
٥ — طبيعة الحرب وابعادها	٢٨ ، ١٥٤ ، ١٥٦ — ١٥٧ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٨
٦ — اخلاقيات الحرب	١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٤.
٧ — ادارة الحرب	١٨٦ ؛ ٢٤٥

آل عمـران :

الموضوع	الآيات
١ — المنظور التاريخى	١١٠
٢ — طبيعة الحرب وابعادها	١٤١ — ١٤٢ ، ١٥٦ — ١٥٧ ، ١٦٠ ؛ ١٦٩ — ١٧١
٣ — استراتيجية الحرب	١٢٤ — ١٢٦ ، ١٥١ ، ١٥٣ — ١٥٤
٤ — ادارة الحرب	١٣٩ — ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٥٩ ، ١٧٢ — ١٧٣ ، ١٩٥ ، ٢٠٠
٥ — الفكر العسكرى القرآنى فى التطبيق .	١٢٢ — ١٢٧ ؛ ١٣٩ — ١٤٩ ، ١٥١ — ١٥٥ ، ١٥٧ — ١٦٠ ، ١٦٥ — ١٦٦ ، ١٦٩ — ١٧٠ ، ١٧٢ — ١٧٣ ، ١٧٩

النســاء :

الموضوع	الآيات
١ — اسباب الحرب	٧٥ — ٧٦ ، ٨٤
٢ — غرض الحرب	٨٨ — ٩١
٣ — طبيعة الحرب وابعادها	٧٤ ؛ ٧٧ ، ٩٥ — ٩٦
٤ — ادارة الحرب	٧١ ، ١٠٢ ، ١٠٤

المائـــدة :

الموضوع	الآيات
١ — تمهيـد	١٥ — ١٦
٢ — اسباب الحرب	٣٢ ، ٦٧

الانعـام :

الموضوع	الآيات
١ — اسباب الحرب	١٥١
٢ — طبيعة الحرب وابعادها	١٦٢

الانفـال :

الموضوع	الآيات
١ — اسباب الحرب	٣٤
٢ — غرض الحرب	٤٩ — ٤٠ ، ٥٦ — ٥٨ ، ٦١ — ٦٢
٣ — استراتيجية الحرب	٩ — ١٢ ، ٥٩ — ٦٠

أرقام الآيات

٤ ــ ادارة الحرب ١١ ، ١٥ ــ ١٦ ، ٤٥ ــ ٤٦ ، ٦٣، ٦٥ ، ٦٧

٥ ــ الفكر العسكرى القرآنى فى التطبيق . ١ ، ٥ ــ ١٢ ، ١٧ ــ ١٩ ، ٣٩ ــ ٤٠ ، ٤٢ ــ ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٦ ــ ٦٩ ، ٧٣

التـــوبة :

١ ــ اسباب الحرب ١٣
٢ ــ غرض الحرب ١ ــ ٥ ، ٧ ــ ١٢ ، ١٧ ــ ١٨ ، ٢٨ ــ ٢٩
٣ ــ طبيعة الحرب وابعادها ٢٤ ، ٣٨ ــ ٣٩ ، ٨١ ــ ٨٤ ، ١١١
٤ ــ استراتيجية الحرب ٢٥ ــ ٢٦
٥ ــ ادارة الحرب ٥ ، ٤١ ، ١٢٣
٦ ــ الفكر العسكرى القرآنى فى التطبيق . ٣٨ ــ ٤٠ ، ٤٣ ــ ٤٩ ، ٨١ ــ ٨٧، ٩١ ــ ٩٣ ، ١١١

الحجـــر :

١ ــ تمهيــد ٩

النحـــل :

١ ــ تمهيـــد ٨٩

الحـــج :

١ ــ اسباب الحرب ٣٩ ــ ٤١
٢ ــ طبيعة الحرب وابعادها ٥٨

الفــرقان :

١ ــ اسباب الحرب ٦٨ ــ ٦٩

الـــروم :

١ ــ المنظور التاريخى ٢ ــ ٤

الاحـــزاب :

١ ــ تمهيــد ٢١ ، ٤٥ ــ ٤٦
٢ ــ طبيعة الحرب وابعادها ١٦
٣ ــ استراتيجية الحرب ٢٦ ــ ٢٧
٤ ــ الفكر العسكرى القرآنى فى التطبيق . ٩ ــ ٢٧

	أرقام الآيات
محمـــد :	
١ — اسباب الحرب	٧
٢ — طبيعة الحرب وابعادها	٧
٣ — اخلاقيات الحرب	٤
٤ — ادارة الحرب	٤ ، ٣٥
الفتـــح :	
١ — طبيعة الحرب وابعادها	٢٢ — ٢٣
٢ — استراتيجية الحرب	٤ ، ١٨
٣ — ادارة الحرب	٢٩
٤ — الفكر العسكرى القرآنى في التطبيق .	١ — ٦ ، ١٠ ، ١٨ ، ٢٦ — ٢٧ ، ٢٩
الصــف :	
١ — طبيعة الحرب وابعادها	١٠ — ١٢
٢ — ادارة الحرب	٤
الفيـــل :	
١ — المنظور التاريخى	١ — ٥

ثبت تاريخى

جميع التواريخ مبينة حسب التقويم الميلادى

الوقائـــع	السـنة
مولد الرسول صلى الله عليه وسلم	٥٧٠
هجوم ابرهة على مكة المكرمة (عام الفيل)	٥٧٠
مبعث الرسول (النبوات)	٦١٠
اعلان هرقل امبراطورا رومانيا	٦١٠
الغزو الفارسى للامبراطورية الرومانية	٦١٠
حملات الفرس على الرومان :	
(أ) انطاكية	٦١١
(ب) حلب	٦١١
(جـ) دمشـــق	٦١١
(د) بيت المقدس	٦١٥
(هـ) مصر	٦١٦
(و) طرابلس	٦١٦
(ز) اسية الصغرى	٦١٦
(ح) كر الرومان الفرس	٦٢٢
حملات الرومان على الفرس :	
(أ) تربيزنـــد	٦٢٢
(ب) ابواب كيليكية	٦٢٢
(جـ) كبديكية	٦٢٣
(د) كيليكية	٦٢٤
(هـ) قزوين	٦٢٤
(و) جنزاكـــا	٦٢٥
(ز) نينـــوى	٦٢٧
اغتيال خسرو أبرويز	٦٢٧
عقد صلح بين الفرس والرومان	٦٢٨
هجرة المسلمين الى المدينة	٦٢٢
اعلان قيام الامة	٦٢٢
صدور الامر الالهى بالقتال	٦٢٢
غزوة بدر	٦٢٤

الوقائع	التاريخ
غزوة احـــد	٦٢٥
حصار المدينة المنورة	٦٢٧
صلح الحديبية	٦٢٨ (فبراير)
غزوة خيبر	٦٢٨ (يونيو)
الحج الى مكة المكرمة	٦٢٩ (فبراير)
معركة المؤتة	٦٢٩ (سبتمبر)
فتح مكة المكرمة	٦٣٠ (ينـــاير)
غزوة حنين	٦٣٠ (ابريل)
الحملة على تبوك	٦٣٠ (سبتمبر)
وفاة الرسول	٦٣٢



ثبت بالمراجع

العربية :

فيما يتعلق بالحقائق الدينية والتاريخية كانت المراجع هى القـــرآن وامهات كتب التفسير والفقه والتاريخ ٠ ولذلك اقتصرنا هنـــا على المراجع الاجنبية لتوثيق نسبة المنقول منها واليها ٠

الاجنبية :

١ ــ أورجانسكى ، أ ٠ ف ــ ك . « السياسة العالمية نيويورك . الفريد أ . نويف ، ١٩٥٩ .

٢ ــ اوزجوود ، روبريت انديكات . « الحرب المحدودة » . شـــيكاغو . مطبعة جامعة شيكاغو ١٩٥٧ .

٣ ــ ايرل ، ادوارد مين ، « واضعوا الاستراتيجية الحـديثة » . لندن ، مطبعة جامعة برنستن ، ١٩٥٢ .

٤ ــ ايكلز ، هنرى « النظريات والفلسفة العسكرية . مطبعة روتجـــرز . ١٩٦٥ .

٥ ــ باشميل ٠ محمد أحمد « معركة بدر الكبرى » ٠

٦ ــ برودى ، برنارد « الاستراتيجية فى عصر الصواريخ » نيو جيرزى . مطبعة برنستن ١٩٥٩ .

٧ ــ برودى ، برنارد ، « الحرب والسياسة » لندن شركة مكميـــلان . نيويورك ، ١٩٧٣ .

٨ ــ بللينى ، جيوفرى ، « اسباب الحرب » . لندن مطبعة مكميـــــلان ليمتد ، ١٩٧٣ .

٩ ــ بوفر ، اندريه ، « استراتيجية الردع » لندن ، فيبر وفيبر ، ١٩٧٢ ٠

١٠ ــ بوفر ، اندريه ، « استراتيجية العمل » لندن . فيبر وفيبر ، ١٩٦٧ ٠

١١ ــ بوفر اندريه ، « مقدمة للاستراتيجية » لندن فيبر وفيبر ، ١٩٧٢ ٠

١٢ ــ توينبى ، ارنولد « الحرب والحضارة » . لندن . مطبعة اكسفورد ٠

١٣ ــ توينبى ، ارنولد « دراســـة التاريخ » . لنـــدن . مطبعة جامعة اكسفورد ، ١٩٥٧ ٠

١٥ ــ جريرز « العلاقات الدولية : كوارث الحرب » .

١٤ ــ جريرز « العلاقات الدولية : كوارث الحرب » ٠

١٥ ــ جلوب (باشـــا) ، جون باجوت . « الفتوحات العربية الكبرى » لندن ، هودروستاوتن ١٩٦٦ ٠

١٦ ـــ رأيت كوينسى « دراسة للحـــرب » ، شـــيكاغو ، مطبعة جامعة شيكاغو ، ١٩٦٥ .
١٧ ـــ روبرت ، جينسبيج ، « نقد الحرب » ، شـــيكاغو ، مطبعة ريجنرى ، ١٩٧٠ .
١٨ ـــ فوش (الماريشال) «مبادىء الحرب» لندن ، تشابمان وهول ، ١٩٠٣
١٩ ـــ كلاوفتز ، كارل فون ، « عن الحرب » ، لندن ، روتلدج وكيجان بول ١٩٦٨ .
٢٠ ـــ كلاوفتز ، كارل فون ، مبـــادىء الحـــرب ، هاريسبج ، شركة ستاك بول ، ١٩٦٠ .
٢١ ـــ كيسنجر ، هنرى الدكتور « ضرورة الاختيار » ، الولايات المتحـــدة الامريكية ، هاسبرورو ، ١٩٦١ .
٢٢ ـــ ماكيافيللى ، فن الحرب ، نيويورك ، ١٩٦٥ .
٢٣ ـــ مورجان باتريك ، « الردع : تحليل نظرى » ، منشورات ســـاج ، ١٩٧٧ .
٢٤ ـــ مورجان تاو « السياسة بين الامم » نيويورك ، ١٩٤٨ .
٢٥ ـــ ميدلارسكى ، مانوس « الحرب : العنف الســـياسى فى العـــلاقة الدولية » ، نيويورك ، ١٩٧٥ .
٢٦ ـــ هارت ، ليدل ، « الاستراتيجية : المعالجة غير المبـــاشرة لها » ، لندن ، فيبر وفيبر .
٢٧ ـــ هارتمان ، ف « علاقات الامم » لندن ، شركة مكميلان ، ١٩٦٩ .
٢٨ ـــ هالبرين ، مورتن « الاستراتيجية العسكرية المعاصرة » بوســـطن
٢٩ ـــ والت ، مونتجومرى « محمد فى المدينة » ، اكسفورد ، ١٩٥٧ .
٣٠ ـــ ويلز ، ج . « الاستراتيجية » نيوجيرزى ، ١٩٦٧ .

المشـــتمل

صفحة

صفحة

رقم الايداع بدار الكتب
١٩٨١/٢٢٦٩

طبع بمطابع

مؤسسة

استراتيجيتنا في الحرب والسلم

الحرب :

« ان الاستراتيجية القرآنية العسكرية تقتضينا أن نعد نفسنا ما استطعنا للحرب حتى نشيع الرعب فى قلوب الاعداء ، الظاهرين أو المستترين ، فى الحين الذى نكون فيه جد حريصين على اتقاء الرعب أن يلقيه العدو فى قلوبنا ، فمن مقتضى هذه الاستراتيجية أن التوقى من رعب العدو هو « الاساس » وان التأهب للحرب ما استطعنا هو « السبب » وان القاء الرعب فى قلوب الاعداء هو « النتيجة » • وكل الفلسفة تدور حول محور قلب الانسان ونفسه وروحه وايمانه ، وهدفنا الرئيسى فى الحرب هو قلب العدو أو روحه ، وسلاحنا الهجومى الرئيسى تحقيقا لهذا الهدف هو قوة روحنا ، وعلينا لكى نقوى على شن هذا الهجوم ان نصون قلوبنا من الرعب »•

السلم :

« وعلينا أن نعى دائما أن استراتيجيتنا فى زمن السلم ينبغى ان تعمل بمنتهى القوة ، واننا بما نعمل ، اما ان نساهم فى بلوغ هدف الاستراتيجية أو فى تقويضه ، كيفما كان الحال » •

وأعدوا لهم ما استطعتم من
رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم

الثمن ١٢٥ قرشا
طبع بمطابع روز اليوسف